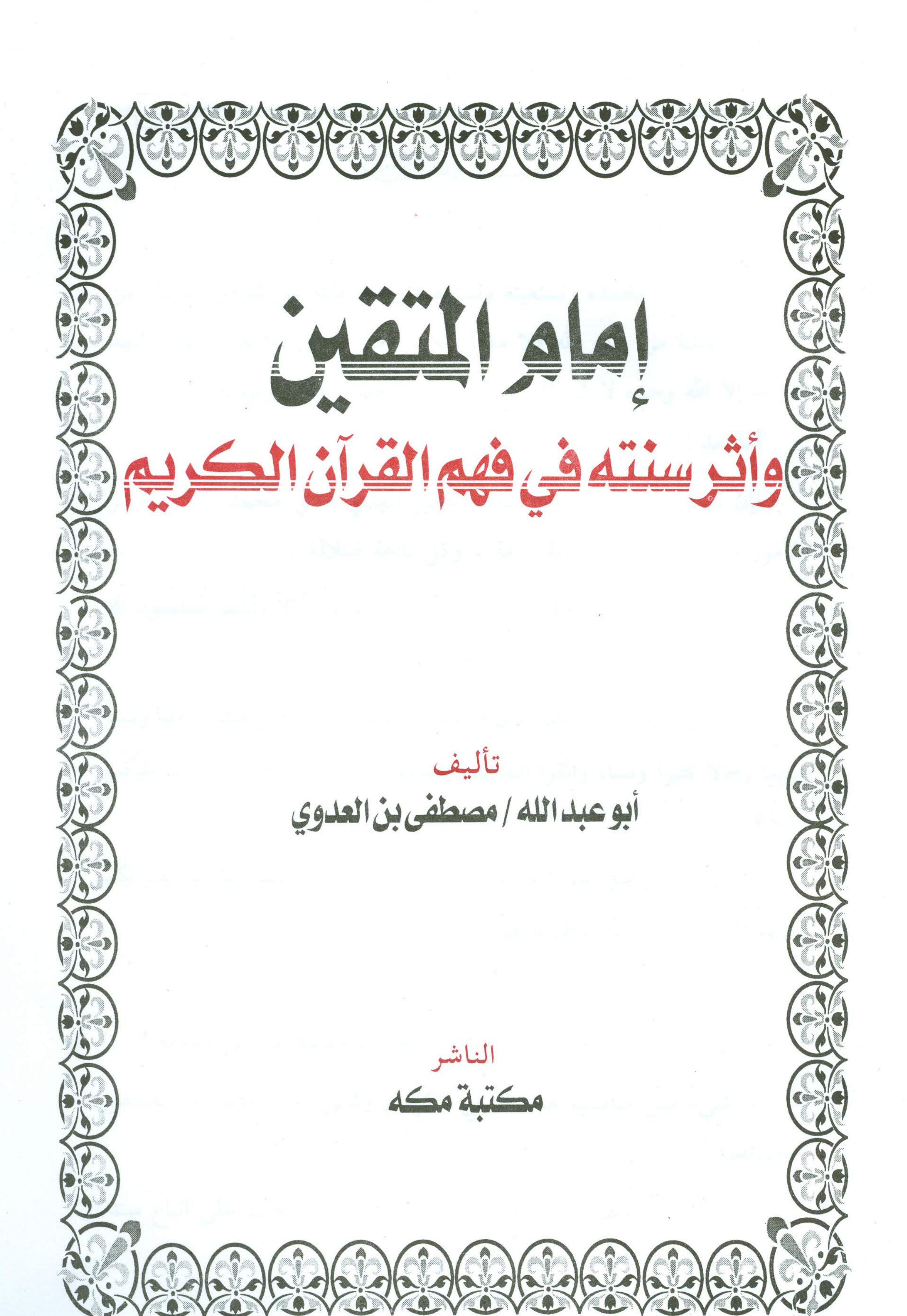


وأثر سنته فى فهم القرآن الكريم



تأليف
أبى عبد الله مصطفى بن العدوى

مكتبة مكة



إمام المتقين

وأثر سنته في فهم القرآن الكريم

تأليف

أبو عبد الله / مصطفى بن العدوي

الناشر

مكتبة مكه

بسم الله الرحمن الرحيم

• تقديم •

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] .

وبعد :

* فهذا شيءٌ من الحديث عن رسول الله ﷺ وسنته المباركة الميمونة !

* شيءٌ من مناقب هذا النبي الكريم وشيء من فضائله وبعض خصائصه .

* ثم تذكيرٌ ببعض الوارد من الأوامر بطاعته ﷺ والحث على اتباع سنته

* نسألك يا ربنا يا من مننت علينا ببعثة هذا النبي الكريم فينا وإلينا أن تجازي نبينا محمد ﷺ عنا خير الجزاء وأن تؤتيه الوسيلة والفضيلة وأن تبعثه المقام المحمود الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد .

* ونسألك ياربنا فضلا منك ونعمةً ورحمةً منك بنا أن تحشرنا مع نبينا محمد ﷺ وأن تسقينا من حوضه شربة هنيئةً مريئةً لا نظمأ بعدها أبدًا .

* كما نسألك اللهم أن تشفعه فينا .

* ونسألك اللهم ربنا أن تثبتنا على سنته وأن تلزمنا هديه وطريقته وترزقنا من سمته الحسن سمتًا حسنًا ، ومن هديه القاصد هديًا قاصدًا ، ومن خلقه العظيم خلقًا عظيمًا ، وأن ترزقنا الإخلاص في القول والعمل وسلامة المعتقد .

* ونسألك اللهم ربنا أن تحشرنا مع نبينا الكريم في أعلى جنة الخلد التي أعدت للمتقين .

وإلى موضوع بحثنا ، وبالله التوفيق ، وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

والحمد لله رب العالمين

كتبه

أبو عبد الله / مصطفى بن العدوي

* إن نبينا محمداً ﷺ هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي القرشي صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

أمه آمنة بنت وهب ، أرسله الله عزَّ وجل للخلق بشيراً ونذيراً على فترة من الرسل(١) ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٩] .

لقد أرسله الله رحمة للعالمين .

* * *

• ولقد اصطفى الله سبحانه وتعالى هذا النبي الكريم ، وفضله على سائر الأنبياء والمرسلين •

قال رسول الله ﷺ : « **إن الله اصطفى كِنانة من وَلَد إسماعيل ، واصطفى قُريشًا من كِنَانة ، واصطفى من قريشٍ بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم** » (٢) .

أخرج الإمام أحمد بسندٍ حسنٍ عن ابن مسعود رضي الله عنه (٣) قال : إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد

---

(١) فقد كانت هناك فترةٌ زمنية لم يرسل فيها رسول ولم يبعث فيها نبي ، تلك الفترة التي بين عيسى ونبينا محمد عليهما الصلاة والسلام ويسميها العلماء (زمن الفترة) .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٢٧٦) .

(٣) أحمد في المسند (١/ ٣٧٩) .

قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه فما رأى المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن ، وما رأوا سيئًا فهو عند الله سيئ .

* * *

• إنه صلوات الله وسلامه عليه سيد ولد آدم [(١)] •

فقد قال عليه الصلاة والسلام : « **أنا سيِّدُ ولد آدم يوم القيامة ، وأوَّلُ من ينشق عنه القبر وأول شافعٍ وأول مُشَفَّعٍ** »[(٢)] .

لقد كان هذا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس[(٣)] .

لقد كان أحسن الناس خُلُقًا[(٤)] .

* * *

• به ختم النبيون •

قال تعالى : ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا** ﴾[الأحزاب : ٤٠] .

* * *

---

(١) وفي البخاري (حديث ٤٧١٢) ومسلم (١٩٤) (أنا سيد الناس يوم القيامة . . .) .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٢٧٨) .

(٣) أخرج ذلك البخاري (حديث ٢٩٠٨) ومسلم (٢٣٠٧) من حديث أنسٍ رضي الله عنه مرفوعًا .

(٤) مسلم (حديث ٢٣١٠) ، وكذا فانظر البخاري (حديث ٣٥٤٩) ومسلم عقيب حديث (٢٣٣٧) .

• إنه صاحب الشفاعة العظمى •

لقد قال عليه الصلاة والسلام : « **لكل نبيٍّ دعوةٌ فأُريد إن شاء الله أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة** » [١].

وقال عليه الصلاة والسلام : « **أُعطيت خمسًا لم يعطهن أحدٌ قبلي نُصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاةُ فليُصل ، وأُحلَّت لي المغانم ولم تحلَّ لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى الناس عامة** » [٢].

* * *

• إنه أول من يدخل الجنة وأول من تفتح له •

أخرج مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أنا أول الناس يُشفع في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعًا** » [٣].

وفي رواية عن أنس أيضًا قال : قال رسول الله ﷺ : « **آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك**

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٤٧٤) ومسلم (حديث ١٩٨) .

(٢) البخاري (حديث ٣٣٥) ومسلم (حديث ٥٢) .

وهذه الشفاعة المذكورة في الحديث يفسرها ما ورد في الحديث المتفق عليه البخاري (٤٧١٢) ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : مسلم (١٩٤) .

(٣) مسلم (حديث ١٩٦) .

أُمرت لا أفتح لأحدٍ قبلك »[١] .

* * *

• إنه شاهد ومبشر ونذير •

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦] .

أخرج البخاري [٢] من طريق عطاء بن يسار ـ رحمه الله تعالى ـ قال : لقيتُ عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت : أخبِرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة ، قال : أجَل . والله إنه لموصوفٌ في التوراة ببعض صفته في القرآن : « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأمِّيين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتُك المتوكل ، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ ولا سَخَّابٍ في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبِضهُ الله حتى يقيم به الملِة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله ويُفتح بها أعينٌ عُميٌ وآذانٌ صُمٌ وقلوبٌ غلف » .

* * *

---

(١) مسلم (حديث ١٩٧) .

(٢) البخاري (حديث ٢١٢٥) .

• إن الوسيلة منزلة في الجنة
لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله
يرجوها رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم لنفسه •

أخرج مسلم (١) في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : « **إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليَّ فإنه من صلَّى عليَّ صَلاةً صلى الله عليه بها عشرًا ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلةٌ في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلَّت له الشفاعةُ** » .

* * *

• لقد شرح الله له صدره ،
ووضع عنه وزره ، ورفع الله له ذكره •

* **أما المراد بشرح الصدر ؛** فمن العلماء من قال : إنه شق صدره ﷺ الذي تم - على ما سيأتي بيانه إن شاء الله - وهو صغير ، وأيضًا ليلة الإسراء، ومن العلماء من قال : إن المراد بشرح الصدر توسيعه وجعله رحيبًا فسيحًا يسع التكاليف التي يكلف بها صلوات الله وسلامه عليه ، ويقبلها بارتياح واطمئنان وهدوء ، ويتحمل في سبيلها ما يصيبه من أذى وبلاء بصدر رحب وصفح وعفو ومقابلة الإساءة بالإحسان ؛ ومن المعلوم : أن الصدر إذا كان منشرحًا لشخصٍ مثلا فإن كل أقواله تدخل فيه ، وإذا كان الصدر متبرمًا متضايقًا من شخص فلا يكاد يصل أيُّ قول من قوله إلى الصدر ، بل يرد

---

(١) مسلم (حديث ٣٨٤) .

الصدر كل ما يصدر من هذا الشخص فعليه إن كان الله سبحانه وتعالى قد شرح صدر شخصٍ للإسلام فتدخل كل التكاليف وكل الأوامر والنواهي إلى صدر هذا الشخص وهو مرتاح لها متسع لقبولها ، كما قال عز وجل : ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] . وبدء طريق الهداية يكون بشرح الصدر ، ومن ثم دعاء موسى ﷺ ـ لما كلفه الله بالذهاب إلى فرعون ـ ربه عز وجل فقال : ﴿... رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ [طه: ٢٥، ٢٦] .

* * *

• وقد شرح صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين •

الأولى منهما : وهو صغير يلعب مع الغلمان كما في « صحيح مسلم » (١) من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأَمَهُ (٢) ثم أعاده في مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعني : ظئره) (٣) فقالوا : إن محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون (٤) .

---

(١) أخرجه مسلم (ص ١٤٧) .
(٢) لأَمَهُ : ضمه وجمع بعضه إلى بعض .
(٣) ظئره : أي : مرضعته .
(٤) منتقع اللون : أي متغير اللون .

قال أنس : وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره .

والثانية : ليلة المعراج كما في « صحيح البخاري » و « صحيح مسلم » من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **فُرِج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطستٍ من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا فأفرغه في صدري ثم أطبقه...** » الحديث (١) .

* * *

• أما قوله تعالى : ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ •

فهي كقوله تعالى : ﴿ **لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ** ... ﴾ [الفتح : ٢] .

* * *

• أما رفع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فذلك من وجوه •

منها ما يلي :

* إيتاؤه القرآن وإنزاله عليه وبعثه لخير أمة أخرجت للناس ، فقد قال تعالى عن القرآن : ﴿ **وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ** ﴾ [الزخرف : ٤٤] أي : شرف لك ولقومك .

* ولا ينعقد لأحدٍ إسلام إلا بالاعتراف برسالته ﷺ والإقرار بها بقوله : أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، فجاء ذكر النبي ﷺ والشهادة برسالته من أركان الإسلام.

* ويدوِّي هذا الاسم الكريم اسم محمد ﷺ خمس مرات في اليوم

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٩) ومسلم (حديث ١٦٣) .

والليلة في الأذان ، وكذلك عند إقامة الصلاة .

* ورب العزة سبحانه وملائكته يصلون على هذا النبي الكريم محمد ﷺ ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ [الأحزاب: ٥٦] .

* وكرر اسمه في القرآن في عدة مواطن ﷺ ، بل وجعلت في القرآن سورة باسمه عليه الصلاة والسلام ، وكما أسلفنا فالقرآن كله نزل عليه ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: ٨٧] .

* وبَشَّرت به الكتب المنزلة على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم .

* واسمه يُذكر في كل خطبة وفي خطبة النكاح والتشهد في الصلاة كذلك .

وفي الجملة : فقد ملأ ذكره الجميل السموات والأرضين ، وجعل الله له لسان صدق في الأولين والآخرين ، وجعلت أمته ـ كما أسلفنا ـ خير الأمم وأكثر أهل الجنة ، فصلوات ربي وسلامه عليه آناء الليل وأطراف النهار في الدنيا وفي الآخرة عليه أفضل صلاة وأتم تسليم وأزكاه ، وما أجمل وأحسن هذه الأبيات المنسوبة إلى حسان رضي الله عنه حيث قال في وصف النبي ﷺ والثناء عليه :

أغرُّ عليه للنبوة خاتم ... من الله مشهود يلوح ويشهد

وضم الإله اسم النبي مع اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن أشهد

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

* * *

• لقد وجده الله يتيما فآواه وضالا فهداه وعائلا فأغناه •

أما كونه كان يتيمًا فآواه ، فوجه ذلك : أن الله سبحانه وتعالى قيَّد له عمه أبا طالب يحوطه ويرعاه ويمنعه ممن أراده بسوء، ويحنو عليه ويدافع عنه.

وكذلك قيَّد الله له غير أبي طالب أيضًا ، فقيَّد الله له المطعم بن عدي فنزل النبي ﷺ في جواره .

وقيَّد الله له العموم من حفظه بإذن الله ،صلوات الله وسلامه عليه .

أما كونه كان ضالا فهداه الله ، فلأهل العلم في ذلك جملة أقوال ، ذكر الرازي منها عشرين وأشهر هذه الأقوال ما يلي :

القول الأول : أنه عليه الصلاة والسلام كان ضالا عن معالم النبوة وأحكام الشريعة لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان ، كما قال تعالى : ﴿**وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ**﴾ [الشورى: ٥٢] ، وكما قال تعالى : ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**﴾ [يوسف: ٣] .

القول الثاني : أنه عليه الصلاة والسلام كان قد ضل في شعاب مكة وهو صغير فرده الله سالـمًا .

القول الثالث : أنه سبحانه وجده في قومٍ ضلال فهداهم الله به ، والله تعالى أعلم .

أما كونه كان عائلاً فأغناه الله :

* فمن العلماء من قال : إن هذا الغنى يتمثل فيما فتحه الله عليه من

الفتوحات والكنوز ، وما منَّ الله به عليه من الغنائم وتحليلها له ، لكن هذا القول قد ردَّه بعض العلماء متعللين بأن السورة مكية والفتوحات إنما كانت بعد الهجرة .

* **ومن العلماء من قال :** إن المراد بالغنى هنا : غنى النفس والقناعة ، فقد قنعه الله بما آتاه .

* **ومن أهل العلم من قال :** إن الله عز وجل أغناه بما وهبته له خديجة بنت خويلد وأعطته من مالها ، والله أعلم .

* * *

• لقد أعطاه الله الكوثر ومنَّ عليه بالحوض المورود •

أما الكوثر ، فقد ذهب أكثر أهل العلم إلى أن المراد بالكوثر : نهر في الجنة أعطاه الله لنبيه ﷺ ، وستأتي الأحاديث صريحة في ذلك .

* **ومن العلماء من قال :** إن الكوثر هو حوض رسول الله ﷺ وهذا القول قول قوي أيضًا ويجمع بينه وبين الأول أن النهر حوض [١] كما في «صحيح مسلم» من حديث أنس رضي الله عنه . . وفيه أن النبي ﷺ قال : « **أتدرون ما الكوثر ؟** » فقلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : « **فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم ...** » الحديث [٢] .

---

(١) وقد جمع الرازي بأن قال : ووجه التوفيق بين هذا القول وبين القول الأول أن يقال : لعل النهر ينصب في الحوض أو لعل الأنهار إنما تسيل من ذلك الحوض فيكون ذلك الحوض كالمنبع .

(٢) أخرجه مسلم (حديث رقم : ٤٠٠) .

* وقد صحح القرطبي ـ رحمه الله ـ القول القائل بأن الكوثر هو النهر أو الحوض ، قال : لأنه ثابت عن النبي ﷺ نص في الكوثر .

وقال الطبري في « تفسيره » بعد أن ذكر جملة أقوال للعلماء في الكوثر: وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي قول من قال : هو اسم للنهر الذي أعطيه رسول الله ﷺ في الجنة ، وصفه الله بالكثرة لعظم قدره ، وإنما قلت ذلك أولى الأقوال في ذلك لتتابع الأخبار عن رسول الله ﷺ بأن ذلك كذلـك .

قلت : وقد ذكر بعض العلماء أقوالا أُخر في الكوثر [١] ، فمنهم من قال: إن الكوثر هو الخير الكثير الذي أعطاه الله لنبيه ﷺ فيدخل فيه النهر والحوض والنبوة والقرآن وكثرة الأتباع والأصحاب والأمة وتخفيف الشرائع و. . . إلى غير ذلك ، والأولى هو ما قدمناه وهو الذي عليه جماهير العلماء أن الكوثر هو النهر ، وهو الذي فسره به رسول الله ﷺ .

قال صديق حسن خان في « فتح البيان » ـ بعد أن أورد جملة أحاديث تبين أن الكوثر نهر أُعطِيَه النبي ﷺ في الجنة ـ : فهذه الأحاديث تدل على أن الكوثر هو النهر الذي في الجنة فيتعين المصير إليها وعدم التعويل على غيرها ، وإن كان معنى الكوثر هو الخير الكثير في لغة العرب ، فمن فسره بما هو أعم مما ثبت عن النبي ﷺ فهو تفسير ناظر إلى المعنى اللغوي .

* * *

لقد أنزل الله عليه خير كتاب ، كتابًا مهيمنًا على سائر الكتب من قبله .

قال تعالى : ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ**

---

(١) ذكر القرطبي منها ستة عشر قولا .

﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨] .

كتاب يهدي للتي هي أقوم ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ** ﴾ [الإسراء: ٩] .

بخير لغةٍ ، ألا وهي لغة العرب .

قال تعالى : ﴿ **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** ﴾ [الشعراء: ١٩٥] .

وقال سبحانه : ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ [الزخرف: ٣] .

وبعثه في خير قرن .

قال رسول الله ﷺ : « **خيرُ أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ...** »[(١)] .

وفي الصحيحين أيضًا من حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ قال : « **خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ...** »[(٢)] .

وفي رواية عند مسلم[(٣)] : « **خير أمتي القرن الذين بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ...** » .

وذلك في خير البلاد ، ألا وهي مكة المكرمة .

فقد قال رسول الله ﷺ لمكة : « **والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إليَّ ، ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت** »[(٤)] .

---

(١) البخاري (حديث ٣٦٥٠) ومسلم (حديث ٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) البخاري (حديث ٣٦٥١) ومسلم (حديث ٢٥٣٣) .

(٣) مسلم (حديث ٢٥٣٤) .

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ٣٠٥) وعبد بن حميد في المنتخب (حديث ٤٩٠) .

عند خير البقاع ، وذلك عند المسجد الحرام .

* * *

• إن هذا النبي الكريم أمنة لأصحابه •

أخرج مسلم (١) في صحيحه من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال : صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا : لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء! قال : فجلسنا . فخرج علينا فقال: « **ما زِلتُمْ ها هُنا** » قلنا : يا رسول الله ! صلينا معك المغرب ثم قلنا: نجلس حتى نصلِّي معك العشاء قال: « **أحسنتُم: أو أصبتُم** » قال : فرفع رأسه إلى السماء ، وكان كثيراً مما يرفعُ رأسَه إلى السماء فقال : « **النجومُ أَمَنَةٌ للسماء فإذا ذهبت النجومُ أتى السماء ما تُوعَدُ ، وأنا أَمَنَةٌ لأصحابي فإذا ذهبتُ أتى أَصحابي ما يُوعدون ، وأصحابي أَمَنَةٌ لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يُوعدون** » (٢) .

* * *

• إن هذا النبي دعوة إبراهيم عليه السلام وبشارة عيسى عليه السلام •

« **ورأت أمه نوراً خرج منها أضاءت له قصور الشام** » (٣) .

---

(١) مسلم (حديث ٢٥٣١) .

(٢) قال النووي رحمه الله (شرح مسلم ص ٣٩١) : (**وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**) : معناه : من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم عليهم ، وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك ، وهذه كلها من معجزاته ﷺ .

(٣) انظر مسند أحمد (٥/ ٢٦٢) فقد ورد ذلك بإسنادٍ يُحسن لشواهده .

* **وإنه دعوة إبراهيم عليه السلام**؛ إذ قال: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٩] .

* **إنه بشارة عيسى عليه السلام**؛ إذ قال: ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [الصف:٦] .

* **إن أمته خير الأمم، وأصحابه خير الأصحاب:**

قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ... ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

قال أبو هريرة رضي الله عنه في تفسير الآية: « **خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام** » (١) .

وقال عليه الصلاة والسلام: « **إنكم توفون سبعين أمة أنتم آخرها وأكرمها على الله عزَّ وجل** » (٢) .

وقال ﷺ: « **نحن الآخرون، ونحن السابقون يوم القيامة** » (٣) .

وفي رواية: « **نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق** » (٤) .

* **لقد زكَّى الله لهذا النبي الكريم فؤاده**، فقال سبحانه: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ

---

(١) البخاري (٤٥٥٧) .

(٢) صحيح ، أخرجه عبد بن حميد في المنتخب (حديث ٤٠٩) وأحمد (٣/٥، ٥) .

(٣) البخاري (حديث ٣٤٨٦) ومسلم (حديث ٨٥٥) .

(٤) مسلم (حديث ٨٥٦) .

مَا رَأَىٰ ﴾ [النجم: ١١] .

* **وزكّى له عقله** ، فقال : ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ [الطور: ٢٩] .

* **وزكّى الله له لسانه** ، فقال سبحانه : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣، ٤] .

* **وزكّى له بصره** ، فقال سبحانه : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم: ١٧] .

* **وزكّى له سمعه** ؛ إذ قال سبحانه : ﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ٦١] .

* **وزكّى الله له خُلُقه** ، فقال سبحانه : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] .

* * *

• لقد نفى الله عنه كل سيئ وقبيح ، وأثبت له كل جميل وكريم •

وأقسم ربنا على ذلك ، إذ قال سبحانه : ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ١ ـ ٤] .

أخرج مسلم [(١)] في « صحيحه » من طريق هشام بن عامر قال : يا أم المؤمنين ، أنبئيني عن خُلُق رسول الله ﷺ ؟ قالت : ألست تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى ، قالت : فإن خُلُق نبي الله ﷺ كان القرآن .

---

(١) مسلم (حديث ٧٤٦) .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى :

ومعنى هذا : أنه ـ عليه السلام ـ صار امتثال القرآن ـ أمرًا ونهيًا ـ سجيةً وخلقًا تطبَّعه ، وترك طبعه الجِبِلِّي ، فمهما أمره القرآن فعله ، ومهما نهاه عنه تركه ، هذا مع ما جَبَلَه الله عليه من الخلق العظيم ، من الحياء والكرم ، والشجاعة والصفح ، والحلم ، وكل خلق جميل ، كما ثبت في «الصحيحين» (١) عن أنس قال : خدمتُ رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أُفًا قط ، ولا قال لشيء فعلته : لِمَ فعلته ؟ ولا لشيء لم أفعله : ألا فعلته ؟ وكان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا ، ولا مسست خزًا ولا حريرًا ولا شيئًا كان ألين من كف رسول الله ﷺ ، ولا شممت مسكًا ولا عطرًا كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ .

وقال البخاري (٢) : حدثنا أحمد بن سعيد أبو عبد الله ، حدثنا إسحاق ابن منصور ، حدثنا إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، قال: سمعت البراء يقول : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا وأحسن الناس خَلْقًا ، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير .

والأحاديث في هذا كثيرة ، ولأبي عيسى الترمذي في هذا كتاب «الشمائل » .

وقال الإمام أحمد (٣) : حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر ، عن الزهري، عن عروة وعن عائشة ، قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادمًا له قط،

---

(١) انظر البخاري (٦٠٣٨ ، ٦٩١١) ، ومسلم (حديث ٢٣٠٩) .

(٢) البخاري (حديث ٣٥٤٩) .

(٣) صحيح ، أخرجه أحمد (٦/ ٢٣٢) .

ولا امرأة ، ولا ضرب بيده شيئًا قط ، إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ولا خُير بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثمًا ، فإذا كان إثمًا كان أبعد الناس من الإثم ، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه إلا أن تنتهك حرمات الله ، فيكون هو ينتقم لله عز وجل .

* * *

• إنه منة وتفضل من أعظم منن الله علينا •

* قال تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤] .

* لقد أرسله الله لتزكيتنا وتطهيرنا !!

* لقد أرسله الله لتعليمنا الكتاب والحكمة وإنقاذنا من الجهالات والضلالات .

* قال تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٥١] .

* * *

• لقد أرسل هذا الرسول الكريم رحمة للعالمين •

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] .

* * *

• إنه بأمته رؤوف رحيم •

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨] .

* * *

• ولقد أثنى الله سبحانه وتعالى على هذا النبي خير ثناء ، ودافع عنه خير دفاع •

* نفى الله عنه الجنون ، فقال : ﴿ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ [القلم: ٢] .

* ونفى الله عنه الكهانة ، فقال : ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ ﴾ [الطور: ٢٩] .

* ونفى عنه الوصف بأنه شاعر ؛ إذ قال الله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ﴾ [يس: ٦٩] .

* وقال تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الحاقة: ٤١] .

* لقد نفى الله عنه الكذب والافتراء: فقال سبحانه : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ (٤٤) لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٧] .

* وقال تعالى : ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً (٧٣) وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً (٧٤) إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا

نَصِيراً ﴾ [الإسراء : ٧٣ ـ ٧٥] .

* ولقد نفى الله عنه التهم ، فقال : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ [التكوير : ٢٤] قيل : المعنى ليس هذا النبي ﷺ بمتهمٍ فيما يُخبر به عن الله عزَّ وجل .

وقيل : وما هو ببخيل أي : لا يضن بالإخبار عن الله عزَّ وجل بكل ما يقرب منه سبحانه ومن جنته ، وأخبر بكل ما نتجنب به النار إلى غير ذلك مما كُلِّف به عليه الصلاة والسلام .

* * *

• ولقد أكرم الله نبيه صلى الله عليه وسلم إكراما حسنا وأنزله منزلة حسنة •

فمن صور هذا الإكرام ما ذكره العلامة الشنقيطي حيث قال :

* وقد دلت آيات من كتاب الله على أن الله تعالى لا يخاطبه في كتابه باسمه ، وإنما يخاطبه بما يدل على التعظيم والتوقير ، كقوله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ [الأحزاب : ١] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ﴾ [المائدة : ٤١] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾ [المزمل : ١] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ [المدثر : ١] . مع أنه ينادي غيره من الأنبياء بأسمائهم كقوله: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ ﴾ [البقرة : ٣٥] ، وقوله: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ [الصافات : ١٠٤] . وقوله : ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ [هود : ٤٦] . ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا ﴾ [هود : ٤٨] . وقوله : ﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [الأعراف : ١٤٤] . وقوله : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ [آل عمران : ٥٥] وقوله : ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً ﴾ [ص : ٢٦] .

* أما النبي ﷺ فلم يذكر اسمه في القرآن في خطاب، وإنما يذكر في غير ذلك كقوله : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ [آل عمران: ١٤٤] . وقوله : ﴿ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﴾ [محمد: ٢] . وقوله : ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ [الفتح: ٢٩] .

* وقد بين تعالى أن توقيره واحترامه ﷺ بغض الصوت عنده لا يكون إلا من الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ، أي : أخلصها وأن لهم بذلك عند الله المغفرة والأجر العظيم ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحجرات: ٣] .

* وقال بعض العلماء في قوله : ﴿ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ ﴾ [الحجرات: ٢] أي : لا ترفعوا عنده الصوت كرفع بعضكم صوته عند بعض .

ومن ذلك الإكرام :

* قول الله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ① لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ② وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ [الفتح: ١ ـ ٣] .

ومن صور هذا الإكرام والثناء الحسن :

* أن الله عز وجل يصلي على هذا النبي وكذا ملائكتُهُ ، ويأمرنا ربنا بالصلاة عليه والتسليم .

* قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] .

* واقرأ هذه الآيات وانظر إلى ما فيها متدبراً متأملا ، واستمع قوله تعالى : ﴿ طه (١) ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ [طه : ١، ٢] .

* وقوله تعالى : ﴿ فتول عنهم فما أنت بملوم ﴾ [الذاريات : ٥٤] .

* وقوله تعالى : ﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ﴾ [الطور : ٤٨] .

* وقوله تعالى : ﴿ وتوكل على العزيز الرحيم (٢١٧) الذي يراك حين تقوم (٢١٨) وتقلبك في الساجدين ﴾ [الشعراء : ٢١٧ _ ٢١٩] .

* كذلك فتدبر قوله تعالى : ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ﴾ [الأنفال : ٣٣] .

* وقوله : ﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾ [الزمر : ٣٦] .

* وقوله : ﴿ ويهديك صراطا مستقيما ﴾ [الفتح : ٢] .

* وقوله : ﴿ وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾ [التحريم : ٤] .

* ولما زعم المشركون أن الله عزَّ وجل قد قلى رسول الله ﷺ وهجره أقسم الله تبارك وتعالى على أنه ما ودَّعه وما قلاه قال تعالى : ﴿والضحى (١) والليل إذا سجى (٢) ما ودعك ربك وما قلى (٣) وللآخرة خير لك من الأولى (٤) ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ [الضحى : ١ _ ٥].

* أما سبب نزولها هو : ما أخرجه البخاري [(١)] ومسلم من حديث جندب ابن سفيان رضي الله عنه قال : اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثًا ؛ فجاءت امرأة فقالت : يا محمد إني لأرجو إن يكون شيطانك

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٩٥٠) ومسلم (١٧٩٧ ص ١٤٢٢) .

قد تركك ، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثًا ؛ فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ [الضحى : ١ ـ ٣] .

ولقد أقسم الله عزَّ وجل بحياة رسول الله ﷺ ، وفي هذا مزيدٌ من الإكرام والتعظيم :

قال تعالى : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر : ٧٢] .

قال القاضي عياض في كتاب الشفا : اتفق أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد ﷺ ، وقال : ومعناه وبقائك يا محمد ، وقيل : وعيشك ، وقيل : وحياتك .

وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما خلق الله تعالى وما ذرأ وما برأ نفسًا أكرم عليه من محمدٍ ﷺ ، وما سمعت الله تعالى أقسم بحياة أحدٍ غيره .

وانظر إلى جميل الخطاب وجميل الملاطفة : في قوله تعالى : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [التوبة : ٤٣] .

وكذا جميل الخطاب في قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٣] .

وانظر إلى هذا الإكرام والحفظ :

* في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة : ٦٧] .
* وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ﴾ [التوبة : ٤٠] .
* وقوله : ﴿ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ [التوبة : ٤٠] .
* وقوله : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر : ١] .

* وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر : ٨٧] .

ولقد خصَّه الله بخصائص ، فقد أوتي جوامع الكلم ، وكان يرى من وراء ظهره في الصلاة ، وكذا فعيناه تنامان ولا ينام قلبه ، وقد كانوا يتحدثون أنه صلوات الله وسلامه عليه أوتي قوة ثلاثين في الجماع ، وكذلك قوله : « **إني أبيت يطعمني ربي ويسقين ..** » إلى غير ذلك من خصائصه صلوات الله وسلامه عليه .

وكلُّ ما فارق فيه البشر فلابد وأن يكون بنصٍّ .

وكذلك فانظر إلى توقير صحابة رسول الله ﷺ لرسولهم الكريم ، يصف هذا التوقير رجلٌ كان عند وصفه كافرًا ألا وهو عروة بن مسعود الثقفي الذي أرسل من قِبل قومه ناصحًا لهم ومشيرًا عليهم ، فانظر إلى كلماته بعد أن رجع من عند رسول الله ﷺ ، وهو ينقل لقومه خبر ما رأى ففي الصحيح [(١)] : أنه (أي : عروة بن مسعود الثقفي) قال لأصحابه : أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت مليكًا قط يُعظمه أصحابه ما يُعظم أصحاب محمد ﷺ محمدًا، والله إن يتنخم نُخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له .

---

(١) البخاري (حديث ٢٧٣١، ٢٧٣٢) .

وانظر إلى عظيم حق هذا النبي الكريم ﷺ على أمته :

في قوله تعالى : ﴿ **النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ** ﴾ [الأحزاب: ٦] .

ومن صور الإكرام والإجلال والتقدير : النهي عن التقدم بين يديه ورفع الصوت فوق صوته .

فالتقدم بين يديه ورفع الصوت فوق صوته صلوات الله وسلامه عليه مؤذنٌ بإحباط الأعمال وذهاب ثوابها .

قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ** ﴾ [الحجرات: ١، ٢] .

لقد أرشدت هذه الآيات الكريمة إلى أدبٍ نتأدب به مع نبينا ﷺ .

* أدب مع رسول الله ﷺ : فلا نتقدم بين يديه بأمرٍ ، ولا نرفع شيئًا فوق سُننه ، ولا نرفع صوتًا فوق صوته ، ولا نقدم شرعًا على شرعه صلوات الله وسلامه عليه .

* أدب مع رسول الله ﷺ في ندائه كما قال ربنا : ﴿ **وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ** ﴾ [الحجرات: ٢] .

* أدب مع رسول الله ﷺ استُفيد من قوله تعالى : ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ** ﴾ [الحجرات: ٧] فيُلزمنا ذلك بأن نتهم آراءنا دائمًا ، ونقدم قول رسولنا محمد ﷺ في كل وقتٍ وحينٍ فهو - صلوات الله وسلامه عليه - بالمؤمنين رؤوف رحيم .

* أدب مع رسول الله ﷺ في ترك المن عليه بإسلامنا ، بل يجب علينا أن نثني عليه ونصلي عليه ونسأل ربنا له أعلى الدرجات وأفضل المقامات ؛ إذ جعله الله سببًا في هدايتنا صلوات الله وسلامه عليه .

أما عن معنى الآية الكريمة : ﴿ لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [الحجرات : ١] فللآية الكريمة جملةُ معانٍ :

* **الأول :** لا تعجلوا بقضاء أمرٍ من الأمور قبل أن يقضي الله لكم فيه ورسوله .

* **الثاني :** لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة .

* **الثالث :** لا تتقدموا بقولٍ أو بفعلٍ ولا تعجلوا به حتى تعلموا قول الله وقول رسول الله ﷺ .

* **الرابع :** لا تقدموا رأيًا حتى تطَّلِعوا على الكتاب والسنة وتعلموا هل فيهما شيء بخصوص الأمر الذي تريدونه أم لا ؟

لقد نزلت هذه الآية الكريمة في الشيخين الكريمين الجليلين المُبشرين بالجنة صاحبي رسول الله ﷺ ، أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وليس في سبب النزول أنهما خالفا رسول الله ﷺ ، ولا أنهما عصيا أمره ، وإنما تناقشا فيما بينهما بأمرٍ وأشار كل واحد منهما بأمرٍ واختلفا وارتفعت أصواتهما في حضور النبي ﷺ والنبي ﷺ لم يتكلم ، ففيهما نزل ما نزل .

* أخرج البخاري [(١)] من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال : « قدم ركبٌ من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر : أَمِّر القعقاع بن

---

(١) البخاري (حديث ٤٣٦٧) .

معبد بن زرارة ، فقال عمر : بل أمِّر الأقرع بن حابس ، قال أبو بكر : ما أردت إلا خلافي ، قال عمر : ما أردتُ خلافك ، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾ [الحجرات: ١] ، حتى انقضت ».

* وأخرج البخاري (١) أيضًا من طريق ابن أبي مليكة (٢) قال : كاد الخَيْرَان أن يهلكا ـ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ـ لما قدم على النبي ﷺ وفد بني تميم أشار أحدهما بالأقرع بن حابس التميمي الحنظلي أخي بني مُجاشع، وأشار الآخرُ بغيره ، فقال أبو بكر لعمر : إنما أردت خلافي، فقال عمر: ما أردتُ خلافك فارتفعت أصواتهما عند النبي ﷺ فنزلت : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ** ﴾ إلى قوله : ﴿ **عَظِيمٌ** ﴾ [الحجرات: ٢، ٣] .

قال ابن أبي مليكة : قال ابن الزبير : فكان عمر بعدُ ـ ، ولم يذكر ذلك عن أبيه ـ يعني : أبا بكر ـ « **إذا حدَّث النبي ﷺ بحديث حدَّثه كأخي السِّرار ، لم يُسمعه حتى يستفهمه** ».

* * *

(١) البخاري (٧٣٠٢) .

(٢) وهذا صورته صورة المرسل ، وقد ورد عند الترمذي (٣٢٦٦) من طريق مؤمل بن إسماعيل : حدثنا نافع بن عمر بن جُميل الجمحي ، حدثني ابن أبي مليكة ، حدثني عبد الله بن الزبير . . فصرح ابن أبي مليكة بتحديث ابن الزبير له فاتصل السند بذلك ، لكن مؤمل في حفظه شيء إلا أن الحديث تشهد له الرواية الأولى التي قدمناها . والله أعلم .

• ولقد طمأن الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأراح له باله •

لقد كان النبي ﷺ يُقلِّب بصره في السماء راجيًا الله عزَّ وجل أن يوجهه إلى الكعبة يصلي إليها بدلا من توجهه إلى بيت المقدس .

فسبب نزول قوله تعالى : ﴿ **قَدْ نرىٰ تقلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا** ﴾ [البقرة: ١٤٤] .

ما أخرجه البخاري (١) في صحيحه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه : أن النبي ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت وأنه صلى - أو صلاها - صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فمرَّ على أهل المسجد وهم راكعون قال : أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قِبَل مكة فداروا كما هم قِبَل البيت وكان الذي مات على القبلة قبل أن تُحوَّل قِبلَ البيت رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم ، فأنزل الله : ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

وصدقت عائشة رضي الله عنها إذ قالت للنبي ﷺ : ما أرى ربك إلا يسارع في هواك وذلك عند نزول قول الله تعالى : ﴿ **تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنهُنَّ وتُؤوي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغيتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ** ﴾ [الأحزاب: ٥١] .

أخرج البخاري (٢) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كنتُ أغار

---

(١) البخاري (حديث ٤٤٨٦) .

(٢) البخاري (حديث ٤٧٨٨) .

على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وأقول : أتهب المرأة نفسها ؟ فلما أنزل الله تعالى : ﴿ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾ [الأحزاب : ٥١] قلت : ما أرى ربك إلا يُسارع في هواك .

إنه لا ينعقد لأحدٍ إسلام إلا بالشهادة لهذا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه بالرسالة .

لقد أخذ الله ميثاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أن يؤمنوا بهذا النبي إذا بُعث فيهم :

قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٨١] .

* * *

• إنه شهيد على أمته يوم القيامة وأمته شهداء على سائر الأمم •

قال تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

أخرج البخاري (١) ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **يُدعى نوح يوم القيامة فيقول : لبيك وسعديك يا رب فيقول : هل بلغت ؟ فيقول : نعم ، فيقال لأمته : هل بلغكم ؟ فيقولون: ما أتانا من نذير فيقول : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته ،**

(١) البخاري (مع الفتح ٣/ ٢٢٨) ومسلم (مع النووي ٧/ ١٨) .

فيشهدون أنه قد بلّغ ويكون الرسول عليكم شهيداً ، فذلك قوله جل ذكره : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣] » . والوسط : العدل .

* * *

• لقد أذهب الله الرجس عن أهل بيته وطهرهم تطهيرا •

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب:٣٣] .

ولقد أيَّد الله سبحانه وتعالى هذا النبي الكريم بطائفة من الآيات والمُعجزات الدالة على صدقه وصدق نبوته ، وأنه رسولٌ من عند الله عزَّ وجل :

وكان ولا يزال القرآن الكريم أعظم معجزةٍ أوتاها نبيٌ من الأنبياء .

قال الله تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت:٥١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « ما من الأنبياء نبي إلا أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة » [1] .

ولقد أيدّ الله هذا النبي الكريم بمعجزات أخر :

كالإسراء والمعراج وانشقاق القمر ، والبركة في الماء القليل والشراب

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (حديث ٤٩٨١) ومسلم (١٥٢) .

القليل ، وحنين الجذع له وأدب الحيوان معه ، وإتيان الأشجار إليه ، وتسليم الأحجار عليه ، وشفاء عدد من الأمراض على يديه بدون دواء حسيٍّ ، وتحقق ما أخبر به ﷺ ،والانتقام ممن عانده وخالف أمره ، إلى غير ذلك من المعجزات دلالة على صدقه وصدق نبوته عليه الصلاة والسلام .

* * *

• ولقد أنزل الله على هذا النبي الكريم خير كتاب ، وأمره بالبلاغ •

إذ قال سبحانه : ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾ [الأنعام: ٦٧] .

فبلَّغ الرسول خير بلاغ وأدى حق أداء وأشهد أصحابه على ذلك بقوله: « **ألا هل بلَّغت ؟** » فشهدوا له بالبلاغ فأشهد ربه على ذلك بقوله : « **اللهم فاشهد**» (١) .

وصدقت عائشة رضي الله عنها فيما قالت ، إذ قالت (٢) : من حدثك أن محمدًا ﷺ كتم شيئًا مما أنزل عليه فقد كذب ، والله يقول : ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ** ... ﴾ الآية [الأنعام: ٦٧] .

وأخرج البخاري (٣) من حديث أنس رضي الله عنه قال : جاء زيدٌ بن حارثة يشكو ، فجعل النبي ﷺ يقول : « **اتق الله وأمسك عليك زوجك** » قال أنسٌ : لو كان رسول الله ﷺ كاتمًا شيئًا لكتم هذه .

---

(١) انظر البخاري (حديث ١٠٤، ١٠٥) .

(٢) البخاري (حديث ٤٦١٢).

(٣) البخاري (حديث ٧٤٢٠) .

ولقد امتنَّ **الله** على هذا النبي الكريم بهدي هو خير الهدي وأكمله وأجمله وأحسنه وصدق النبي ﷺ فقد كان يقول إذا خطب : « .. **وخير الهدي هدي محمد ﷺ»** [١] .

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول : « **إن أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ** [٢] **وشر الأمور محدثاتها ، وإن ما توعدون لآتٍ وما أنتم بمعجزين** » .

* * *

• وهذا مثله مع الأنبياء من قبله صلى الله عليه وسلم •

* أخرج البخاري ومسلم [٣] من حديث أبي هريرة رضي **الله** عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجلٍ بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلاَّ وُضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللَّبنة ، وأنا خاتم النبيين** » .

* وأخرجا أيضًا من حديث جابر [٤] رضي **الله** عنه قال : قال النبي ﷺ : « **مثلي ومثل الأنبياء كرجلٍ بنى دارًا فأكملها وأحسنها ، إلا موضع لبنةٍ فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون لولا موضع اللَّبنة !** » .

* وكما أن الرسل عليهم الصلاة والسلام أُرسلت لتطاع .

* كما قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ [النساء : ٦٤]

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٢) البخاري (أثر ٧٢٧٧) .

(٣) البخاري (حديث ٣٥٣٥) ومسلم (٢٢٨٦) .

(٤) البخاري (٣٥٣٤) ومسلم (٢٢٨٧) .

فكذلك أمرنا بطاعة هذا النبي الكريم صلوات ربي وسلامه عليه ، في جملة من المواطن من كتاب ربنا .

* قال الله تبارك وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال : ٢٠] .

* وقال سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد : ٣٣] .

* وقال تعالى : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال : ٤٦] .

* وقال تعالى : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال : ١] .

والآيات في هذا الصدد كثيرة جداً .

* ولقد قال تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا...﴾ [الحشر : ٧] .

* وقد أخرج البخاري ومسلم [١] من طريق علقمة قال : لعن عبد الله[٢] الواشمات والمتنمصات والمُتفلِّجات للحسن المُغيرات خلق الله فقالت أم يعقوب : ما هذا ؟ قال عبد الله : وما لي لا ألعن من لعن رسولُ الله ﷺ وهو في كتاب الله ، قالت : والله لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدته . فقال : والله لئن قرأتيه لقد وجدتيه : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر : ٧] .

---

(١) البخاري (مع الفتح ١٠/ ٣٧٧) ومسلم (٤/ ٨٣٦) وغيرهما .

(٢) هو ابن مسعود رضي الله عنه .

※ وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **دَعوني ما تركتكم ، فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم** - وفي رواية بكثرة سؤالهم - **واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شيءٍ فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم** »[١] .

※ ※ ※

• وهذا مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع من أطاعه أو عصاه •

※ أخرج البخاري [٢] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: « جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا : إن لصاحبكم هذا مثلا ، قال : فاضربوا له مثلا ، فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة وبَعثَ دَاعِيًا ، فمن أجاب الدّاعي دخل الدار وأكل من المأدبة ، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة . فقالوا : أوِّلوها له يَفقهها ، فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا: فالدار : الجنة والداعي : محمدٌ ﷺ ، فمن أطاع محمداً

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٢٨٨) ومسلم (حديث ١٣٣٧) ومطلعه أن أبا هريرة رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ : « **أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا** »، فقال رجلٌ : أكلّ عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثًا فقال رسول الله ﷺ : « **لو قلت: نعم ؛ لوجبت ولما استطعتم ثم قال : ذروني ما تركتكم ...** » الحديث . لفظ مسلم .

(٢) البخاري (حديث ٧٢٨١) .

ﷺ فقد أطاع الله ، ومن عصى محمداً ﷺ فقد عصى الله ، ومحمد فرّق بين الناس» .

وأخرج مسلم [١] هذا الحديث عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : **«مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الجَنَادِبُ [٢] والفرَاشُ يَقَعْنَ فيهَا ، وهو يَذُبُّهُنَّ عنها ، وأنا آخذُ بحُجَزِكُمْ عن النار ، وأنتم تفلَّتُون [٣] مِنْ يَدي »** .

* وفي الصحيحين [٤] من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال :« **إن مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه ، فقال : يا قوم إني رأيت الجيش بعينيَّ ، وإني أنا النذير العُرْيَان [٥] فالنجاء [٦] ، فأطاعه طائفة من قومه ، فَأَدْلَجُوا [٧] فانطلقوا على مهلتهم [٨] ، وكذّبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم ، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم [٩] ، فذلك مثل من أطاعني**

---

(١) مسلم (حديث ٢٢٨٥) .

(٢) قال بعض أهل العلم : الجنادب هذا الصرار الذي يشبه الجراد ، وقيل : له أربعة أجنحة كالجرادة وأصغر منها يطير ويصرّ بالليل صرًّا شديداً .

(٣) أي : تهربون مني .

(٤) البخاري (حديث ٧٢٨٣) ومسلم (حديث ٢٢٨٣) واللفظ له .

(٥) (أنا النذير العريان) قال العلماء : أصله : أن الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيداً عنهم ليخبرهم بما دهمهم . وأكثر ما يفعل هذا ربيئة القوم . وهو طليعتهم ورقيبهم .

(٦) (فالنجاء) أي : انجو النجاء ، أو اطلبوا النجاء .

(٧) (فأدلجوا) معناه : ساروا من أول الليل . يقال : أدلجت أدلج إدلاجًا ، كأكرمت أكرم إكرامًا والاسم الدَّلجة . فإن خرجت بالليل قلت : أدّلجت ادّلج ادّلاجًا بالتشديد . والاسم الدُّلجة بضم الدال .

(٨) (على مهلتهم) هكذا هو في جميع نسخ مسلم .

(٩) (اجتاحهم) استأصلهم .

واتبع ما جئت به ، ومثل من عصاني وكذَّب ما جئت به من الحق » .

* وعندهما أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال [(١)] : قال رسول الله ﷺ : « إنما مثلي ومثل أُمتي كمثل رجل استوقد نارًا ، فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه ، فأنا آخِذُ بحُجَزِكُمْ [(٢)] ، وأنتم تَقَحَّمُون [(٣)] فيه » .

* * *

• ومن شأن أهل الإيمان إذا دُعوا إلى الله ورسوله أن يقولوا سمعنا وأطعنا •

* قال تعالى : ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١] .

* قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦] .

ثمَّ فليُعلم إن طاعة هذا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه من طاعة الله عزَّ وجل :

* قال الله تعالى : ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء: ٨٠] .

* * *

(١) البخاري (حديث ٦٤٨٣) ومسلم (حديث ٢٢٨٤) .

(٢) الحُجز : هى معقد الإزار والسراويل .

(٣) تقحمون : التقحم هو الإقدام والوقوع في الأمور الشاقة من غير تثبت .

• وطاعته سبب الهداية والفلاح •

* قال تعالى : ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ [النور : ٥٤] .

* * *

• وفي طاعته حياة القلوب •

* قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

* * *

• وطاعته سبب للرحمة •

* قال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ... ﴾ [براءة : ٧١] .

* * *

• وطاعته سبب لدخول الجنة •

* قال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [النساء : ١٣] .

* وفي الصحيح : أن النبي ﷺ [(١)] قال : « **كلُّ أمتي يدخلون الجنة إلامن أبى** » قالوا : يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال : « **من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى** » .

---

(١) البخاري (حديث ٧٢٨٠) .

• إن طاعته سبب الفوز العظيم •

* قال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧١] .

أما اتباعه ﷺ ففيه كلُّ خير ، وكل فضل وكل بركة :

فنحظى بمحبة ربنا باتباعنا رسوله ﷺ ، وتغفر لنا ذنوبنا .

* قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

* وصدق أهل العلم الذين قالوا : إن هذه الآية حاكمةٌ على من ادعى محبة الله عزَّ وجل .

فلا يُتصور أن شخصًا يحب الله عزَّ وجل ثم هو يعصي نبي الله ﷺ ويخالف أمره .

تعصي الإله وأنت تزعم حبه ... هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقًا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

* وقال تعالى : ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

* وقال تعالى : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

* * *

• التحذير من عصيان
هذا النبي الكريم ومخالفة أمره •

إن الذين يؤذون هذا النبي الكريم ،يطعنون فيه مُرتكبو كبيرة من أعظم

الكبائر بل هم كفارٌ ملعونون .

* قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٣] .

* ولقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [الأحزاب : ٥٧] .

* وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ١١٥] .

* * *

• إن الذلَّة والصغار يلازمان من خالف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم •

* قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴾ [المجادلة : ٢٠] .

* وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [المجادلة : ٥] .

* * *

• إن عصيان هذا النبي الكريم ومخالفة أمره مؤذنٌ بالعذاب الأليم •

* قال تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور : ٦٣] .

• وعصيانه سبب الضلال المبين •

* قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

* * *

• وعصيانه سبب دخول الجحيم عياذا بالله منها •

* قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء: ١٤].

* وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ [الجن: ٢٣].

* * *

• ولقد نفى الله الإيمان عن من لم يحكموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما شجر بينهم، وأقسم بنفسه على ذلك •

* قال تعالى: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

* * *

• لقد توعد الله سبحانه وتعالى من عاند نبيه صلى الله عليه وسلم بأليم العقاب •

* قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ١٣]

* وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ . . . ﴾ [التوبة : ٦٣] .

وأذكِّر بعقوبة من عاند رسول الله وخالف أمره :

أخرج البخاري (١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « كان رجل نصرانيًّا فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران ، فكان يكتب للنبي ﷺ ، فعاد نصرانيًّا فكان يقول : ما يدري محمد إلا ما كتبت له ، فأماته الله ، فدفنوه فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا : هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه . فحفروا له فأعمقوا فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا : هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه خارج القبر . فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا فأصبح قد لفظته الأرض فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه » .

ثم بعد هذا الموجز عن نبينا محمد ﷺ وشيءٍ من فضائله ومناقبه والأمر بطاعته والتحذير من معصية ومخالفة أمره ، نردف ذلك ببيان آخر ألا وهو :

* * *

• إن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وحى يوحى •

* قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾ [النجم : ٣ ـ ٥] .

* لقد قال عليه الصلاة والسلام : « ألا إني أوتيت الكتاب ومثله

---

(١) البخاري (حديث ٣٦١٧) .

معه[١] **ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلالٍ فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ..»** .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **من رغب عن سنتي فليس مني** »[٢] .

وعند أبي داود بسندٍ صحيح [٣] من طريق سفيان عن أبي النضر عن عبيد الله بن أبي رافع ، عن أبيه ، عن النبي ﷺ : « **لا ألفين أحدكم متكئًا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرتُ به أو نهيتُ عنه فيقول : لا ندري ، ما وجدناه في كتاب الله اتبعناه** » .

* * *

• ولقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالتأسي بهذا النبي الكريم •

* إذ قال سبحانه : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

* فخيرُ أسوة لنا هو نبينا محمد ﷺ .

* نتأسى به في أقواله ! كما نتأسى به في أفعاله !

* نتأسى به في هديه ودلِّه وقصده ، كما نتأسى به في عموم سيره

---

(١) صحيح وأخرجه أبو داود (٤٦٠٤) والترمذي بنحوه (٢٦٦٤) .
وعنده من الزيادة وإن ما حرَّم رسول الله ﷺ كما حرَّم الله .

(٢) البخاري (حديث ٥٠٦٣) ومسلم (حديث ١٠٤١) .

(٣) أبو داود (حديث ٤٦٠٥) وإسناده صحيح .
وقد رواه سفيان عن ابن المنكدر مرسلا ، كما عند الترمذي .

وسلوكه !!

* نتأسى به في كَلِمِهِ كما نتأسى به في سكوته !!

* إن سنة رسول الله ﷺ خير السنن ، وهديه أكمل الهدي ، وسيرته خير السِّيَر !

• ولقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على اتباع سنته وبيّن أنها من أعظم المخارج من الفتن وحذّر عليه السلام من محدثات الأمور ... •

* فقد قال ﷺ في موعظته البليغة التي ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب : « **أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشيًّا ، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجز ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعةٍ ضلالة** »[1] .

* وقال صلوات الله وسلامه عليه في الحديث المتفق عليه : « **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ** »[2] .

* وفي رواية لمسلم[3] : « **من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد** » .

* * *

(١) صحيح بشواهده ، وقد أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) .

(٢) البخاري (حديث ٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) .

(٣) مسلم (عقب الحديث السابق) .

• السنة والقرآن •

* إن سنة رسول الله ﷺ تبين كتاب الله عزَّ وجل خير بيان وتوضحه خير إيضاح وتُجلّيه خير تجلية ، وتفسره خير تفسير .

* إن نبيًّا كريمًا أُنزل عليه القرآن هو بلا شك أعلم الناس بتأويله وتنزيله ، وحلاله وحرامه ومحكمه ومتشابهه .

* إن سنة رسول الله ﷺ تبين ما أُجمل وتوضح ما أُشكل من كتاب الله عزَّ وجل .

* إنها أحيانا تُقيد المُطلق ، وتخصص العام .

* إنها تستثنى أمورًا ، وتضيف أمورًا أُخر .

* ولقد قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل : ٤٤] .

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية : فالرسول ﷺ مبينٌ عن الله عزَّ وجل مراده مما أجمله في كتابه من أحكام الصلاة والزكاة وغير ذلك مما لم يُفصله .

قلت (مصطفى) : ويجدر بي هاهنا أن أسوق أمثلةً دالةً على أهمية السنة لفهم كتاب الله عزَّ وجل ، وكيف أنها تضيف أمورًا وتستثني أمورًا أُخر ، وتوضح المشكل وتزيل الالتباس .

فنقول ، وبالله التوفيق :

* * *

• إن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم توضح ما أجمل في كل الأبواب •

* ففي باب قضاء الحاجة : كيف نقضي حاجتنا ، هل نستقبل القبلة أم لا ؟ عند قضاء الحاجة ، وهل نتمسح باليمين أم لا ؟ وكيف نستجمر ؟ وكوننا نستتر عند قضائها ، والتحذير من ارتداد البول إلى غير ذلك ، كله بينته سنة رسول الله ﷺ .

* وكذا الوضوء الذي أُمرنا به عند القيام للصلاة : هل نتوضأ عند كل قيام لكل صلاة ، أم نتوضأ إذا قمنا إلى الصلاة ونحن على غير وضوء ؟ .

وهل تسبق الوضوء نية ؟ وهل فيه تسمية والمضمضة والاستنشاق ليس لهما ذكر في كتاب الله فهل نتمضمض ونستنشق ، وما الذكر عقب الوضوء، وما نواقض هذا الوضوء ؟

* وكذا توابع الوضوء : من المسح على الخفين ، والمسح على الجورب وتوقيت ذلك المسح ، فكل ذلك مفصلٌ في سنة رسول الله ﷺ .

* وكذا الغُسل الذي أُمرنا به في مواطن : كيف نغتسل ؟ ومن أي شيءٍ نغتسل ؟ جلُّ ذلك مبينٌ بسنة رسول الله ﷺ .

* وكذا الأذان الذي يُنادي به للصلوات : كيف الآذان ؟ وما وقته ؟ وما ألفاظه وأحكامه وفضائله وآدابه ؟ كل ذلك مبينٌ بسنة رسول الله ﷺ .

* وكذا الصلاة : فقد أمرنا الله عزَّ وجل أمرًا عامًّا بالصلاة إذ قال : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣] .

وقال سبحانه: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ﴾ [العنكبوت: ٤٥] .

لكن كيف نُصلي ؟ وبم نفتتح الصلاة ، وبم نقرأ ، وكيف نركع ؟ وماذا نقول فى الركوع ، وماذا نقول في السجود ؟ وكم سجدة في كل ركعة ؟ وكيف نتشهد ؟ وكيف نخرج من الصلاة ؟ والظهر كم ركعة والعصر كم ركعة ، وكذا المغرب والعشاء والصبح ؟!!!

لقد قال ﷺ : « **صلوا كما رأيتموني أصلي** » .

* وكذا فقد قال تعالى : ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ... ﴾ [الجمعة: ٩] فكيف نصلي الجمعة ، وكيف الخطبة ، وعلى من تجب ، وعلى من لا تجب ؟ وكذا كل ما يتعلق بالجمعة .

* فصفة صلاة الجمعة : بيّنتها سنة رسول الله ﷺ وعموم ما يتعلق بالجمعة بينته سنة رسول الله ﷺ .

* وصفة صلاة العيدين : بيّنتها سنة رسول الله ﷺ .

* وصفة صلاة الاستسقاء : بيّنتها سنة رسول الله ﷺ .

* وصفة صلاة الكسوف : بيّنتها سنة رسول الله ﷺ .

* والجنائز وما ورد فيها من أحكام : بيّنتها السُّنة المباركة فغسل الميت لم يرد صريحًا في كتاب الله ، ومن ثم كيف يُغسل ؟ وكذا كيفية الصلاة على الجنازة .

* وكيفية الكفن وكيفية الدفن ، وفضل الدعاء للميت ، وكيفية الصفوف في الصلاة على الجنازة .

وكذا النهي عن النياحة ولطم الخدود وشق الجيوب والنهي عن الدعاء بدعوى الجاهلية كل ذلك بيّنته سنة رسول الله ﷺ .

* **وكذا أمرُ الزكاة** ، كيف نُزكي ؟ وكم نزكي ؟ وما مقدار النصاب ؟ وما وقت الزكاة ؟ وممن تؤخذ ؟ وأين تصرف ؟

كل ذلك مُجمل في كتاب الله مفصلٌ في سنة رسول الله ﷺ .

* **وكذا الصيام** ، ما المحظور علينا فيه ؟ وما المباح لنا ؟ وصوم أيام معلومة معينة غير الفريضة لم يرد له ذكر صريح في كتاب الله عزَّ وجل لكن بيّنت ذلك السنة ، كصوم يوم عاشوراء وصوم يوم عرفة وكذا صوم الاثنين والخميس والثلاثة البيض من كل شهر ، فضل كل ذلك مبينٌ في السنة .

* وكذا النهي عن صوم يوم النحر وأيام التشريق ويوم الفطر وإفراد الجمعة بالصوم .

* **وكذا الحجُّ** ، فقد أجمل ذِكره في كتاب الله عز وجل وفصلته سنة رسول الله ﷺ تفصيلا .

* فلم تُبين في كتاب الله مواقيتُ الحج المكانية ولا الزمانية وبيّنت في سنة رسول الله ﷺ .

* ولم تُذكر تفصيلا أقسام الحج (الإفراد ، والقران والتمتع) وذُكر ذلك في السنة .

* ولم يُذكر في كتاب الله ما يلبسه المحرم وما لا يلبسه ، وذكر ذلك في السنة .

* وكذا الحائض ماذا تصنع في حجها وعمرتها ؟ وبُيّن ذلك في السنة .

* وكيف الطواف ؟ ومن أين نبدأ ؟ وإلى أين ننتهي؟ وكم شوط نطوف؟ وكم شوط نسعى بين الصفا والمروة؟ والجمع بين الصلوات بعرفات ومزدلفة

والصلاة بمزدلفة ورمي الجمار وطواف الوداع وغير ذلك من التفاصيل ، كل ذلك مبينٌ بسنة رسول الله ﷺ .

* **وكذا البيوع ما يحلُّ منها وما يحرم ،** وبيع الغرر والملامسة والمنابذة والنجش ، وبيع الثمر قبل بُدوّ الصلاح والغرر في البيوع وبيع التصاوير وتحريم التجارة في الخمر وبيع الميتة والأصنام وثمن الكلاب ، فأحكام ذلك كله مبينة في سنة رسول الله ﷺ .

* **وكذا أنواع الربا :** كربا الفضل وربا النسيئة ، كل ذلك أوضحة سنة رسول الله ﷺ .

* **وكذا الوكالة في البيوع وفي غيرها ،** كل ذلك بينته السُّنة .

* **والديون وأحكامها والمزارعة والحرث والشرب والمساقاة .**

* **وأحكام الصُّلح وأحكام اللقطة وأحكام الوقف والوصايا .**

* **وكذا الجهاد وأحكامه ،** والغنائم وقسمتها والأسرى وما يتعلق بهم وأنواع التحالفات والعهود والجزية والموادعة ، كل ذلك مبينٌ بسنة رسول الله ﷺ .

* **وكذا الصحابة وفضائلهم والمغازي والسِّير ،** كل ذلك مبينٌ في السُّنة .

* **وكذا أبواب النكاح والطلاق والخلع والنشوز والخطبة ،** ما يتعلق بذلك فتفصيلاته أوضحتها سنة رسول الله ﷺ .

* **والمحرمات من الرضاع والنسب ،** كل ذلك موضح بالسنة ، والمعاشرة الزوجية بتفصيلاتها وحق الزوجة على زوجها والزوج على زوجته .

* **والعِدد والإحداد والإيلاء والهجران ،** كل ذلك بُينت أحكامه بالسنة

المباركة .

* والأطعمة والأشربة وما يتعلق بهما من أحكام ، وكذا الذبائح والصيد والأضاحي والعقائق ، كل ذلك وضحت أحكامه بالسنة المباركة الميمونة .

* وكذا أحكام المرضى والرقى والتعاويذ ، وأحكام اللباس وأبواب الأدب والسلام والاستئذان والشفاعات والهدايا والرشوة ، كل ذلك مبينٌ بسنة رسول الله ﷺ .

* وكذا صيغ الأذكار والدعوات ، والمستحب والمكروه والمحرم والواجب ، وكذا التعاويذ والحروز ، كل ذلك مبينٌ بالسُّنة .

* والتفصيلات في أبواب الأيمان والنذور والكفارات ، كل ذلك أوضحته السُّنة .

* والمواريث والدّيات والحدود والقصاص والأحكام والغصب والإكراه والحيل ، كل ذلك أوضحته السنة وبينت المحظور والجائز .

وثمّ مثال من أبواب الحدود : ألا وهو قول الله تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة: ٣٨] .

فمن أين تقطع اليد ؟ وفي كم تقطع اليد ؟

إن اليد تقطع في ربع دينارٍ فصاعداً (١) كما ورد عن رسول الله ﷺ .

* وأبواب الفتن وأشراط الساعة ، وأبواب التوحيد ، وما يتعلق به ، كل ذلك أوضحته السنة المباركة الميمونة .

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٨٩) و(٦٧٩٠) .

ففي الجملة، نقول : إن سنة رسول الله ﷺ توضح ما أُجمل في الكتاب العزيز وتبينه بيانًا شافيًا وتُفصله تفصيلا .

فصلوات ربي وسلامه على نبيه وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان .

فكيف يتسنى لشخصٍ بعد هذا البيان أن يهجر سنة نبيه محمد ﷺ أو يتخلى عنها أو يزهد الناس فيها ؟! إنه لا يتجاسر على ذلك إلا زنديق يريد الانفصام من الدين والتخلي عنه والطعن فيه .

* وكما أن سنة رسول الله ﷺ تبين ما أُجمل من آي الكتاب العزيز ، فإنها أيضًا أصلٌ من أعظم الأصول لتفسير آياته فكتاب الله يُفسِّر بعضه بعضًا، وكذا تفسره سنة رسول الله ﷺ .

* * *

• وها هي آيات فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم •

*** قد ورد عن رسول الله ﷺ في تفسير المغضوب عليهم بأنهم اليهود والضالين بأنهم النصارى [١] :**

فقد ورد ذلك في حديث يحسن على أقل الأحوال بمجموع طرقه كما يصحح لشواهده أخرجه أحمد [٢] والترمذي [٣] وغيرهما [٤] .

---

(١) مع أن الكفار عمومًا مغضوب عليهم وضالون ، ولكن اليهود اختصوا بمزيد من الغضب والنصارى وصفوا بالضلال .

(٢) أحمد في المسند (٤/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩) .

(٣) الترمذي (٢٩٥٤).

(٤) انظر سنن سعيد بن منصور (١٧٩) وتفسير الطبري وغيرهما .

*** وكذلك توضيح الفدية التي هي من صيام أو صدقة أو نسك :**

فالصيام هنا لم يبن قدره ، ولكن أوضحت السُّنة أنه صيام ثلاثة أيام ، وكذا الصدقة فهي إطعام ستة مساكين ، والنسك ذبح شاة .

* أخرج البخاري ومسلم (١) من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه قال : وقف عليَّ رسول الله ﷺ بالحديبية ورأسي يتهافت قُملا ، فقال : « **يؤذيك هوامُّك ؟** » قلت : نعم . قال : « **فاحلق رأسك** » - أو قال : « **احلق** » - قال : فيَّ نزلت هذه الآية : ﴿ **فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ ..** ﴾ [البقرة:١٩٦] إلى آخر الآية . فقال النبي ﷺ : « **صم ثلاثة أيام أو تصدَّق بفَرَقٍ بين ستة أو انسك بما تيسر** » .

*** وكذلك تفسير اعتزال النساء أثناء المحيض هل هو اعتزال كل شيء منها ، بل واعتزالها مطلقًا أم أنه قد استثنيت من ذلك أمور ؟**

أوضحت سنة رسول الله ﷺ المراد بالاعتزال ،

* فقد أخرج مسلم (٢) في صحيحه من حديث أنسٍ رضي الله عنه أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت (٣) ، فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ . فأنزل الله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ...** (٤) ﴾

---

(١) البخاري (حديث ١٨١٤) ومسلم (١٢٠١) .

(٢) مسلم (حديث ٣٠٢) .

(٣) (ولم يجامعوهن في البيوت) أي : لم يخالطوهن ولم يساكنوهن في بيت واحد .

(٤) (المحيض) المحيض الأول المراد به الدم . والثاني قد اختلف فيه : قيل : إنه الحيض ونفس الدم . وقال بعض العلماء : هو الفرج . وقال آخرون : هو زمن الحيض .

[البقرة: ٢٢٢] إلى آخر الآية . فقال رسول الله ﷺ : « **اصنعوا كل شيءٍ إلا النكاح** » فبلغ ذلك اليهود فقالوا : ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه ، فجاء أُسيد بن حُضير وعبَّاد بن بشر فقالا : يا رسول الله ! إن اليهود تقول كذا وكذا ، فلا نُجامعهن ؟ فتغير وجه رسول الله ﷺ حتى ظننا أن قد وجد عليهما [(١)] ، فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن إلى النبي ﷺ ، فأرسل في آثارهما ، فسقاهما ، فعرفا أن لم يجد[(٢)] عليهما .

*** وكذا ما ورد في تفسير الصلاة الوسطى في قوله تعالى : ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨] بأنها صلاة العصر :**

* أخرج مسلم في صحيحه [(٣)] من حديث عبد الله [(٤)] رضي الله عنه قال: حبس المشركون رسول الله ﷺ عن صلاة العصر ، حتى احمرت الشمس أو اصفرت ، فقال رسول الله ﷺ : « **شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ، ملأ الله أجوافهم وقبورهم نارًا** » أو قال : « **حشا الله أجوافهم وقبورهم نارًا** » .

* وعند مسلم [(٥)] من حديث علي رضي الله عنه أيضًا قال : قال رسول الله ﷺ، يوم الأحزاب : « **شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارًا** » ثم صلاها بين العِشَاءين ، بين المغرب والعشاء .

(١ ، ٢) (قد وجد عليهما) أي : غضب عليهما . ولم يجد عليهما أي : لم يغضب .

(٣) انظر صحيح مسلم (حديث ٦٢٨) .

(٤) هو ابن مسعود .

(٥) في طرق (حديث ٦٢٧) .

* وكذا توضيح مفاتيح الغيب : في قوله تعالى : ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ﴾ [الأنعام: ٥٩] فقد بين النبي ﷺ المراد بها :

وذلك فيما أخرجه البخاري [(١)] في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال : مفاتيح الغيب خمس : **﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾** [لقمان: ٣٤] .

* وكذلك الآية التي إذا أتت : ﴿ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ [الأنعام: ١٥٨] : أوضحتها سنة رسول الله ﷺ .

أخرج البخاري ومسلم [(٢)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون ، وذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها** » ثم قرأ الآية .

* وعند مسلم [(٣)] من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال يومًا : « **أتدرون أين تذهب هذه الشمس ؟** » قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « **إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش ، فتخر ساجدة ، فلا تزال كذلك حتى يقال لها : ارتفعي ، ارجعي من حيث جئت ، فترجع ، فتصبح طالعة من مطلعها ، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش ، فتخر ساجدة ، ولا تزال كذلك حتى يقال لها : ارتفعي ، ارجعي من حيث**

(١) البخاري (حديث ٤٦٢٧) .

(٢) البخاري (حديث ٤٦٣٦) ومسلم (١٥٧) .

(٣) مسلم (حديث ١٥٩) .

جئت ، فترجع ، فتصبح طالعة من مطلعها ، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئًا حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك ، تحت العرش ، فيقال لها : ارتفعي ، أصبحي ، طالعة من مغربك ، فتصبح طالعة من مغربها » ، فقال رسول الله ﷺ : « أتدرون متى ذاكم ؟ ذاك حين ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ [الأنعام: ١٥٨] » .

* وكذلك فسَّر النبي ﷺ الأشهر الحرم ، المذكورة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ [التوبة: ٣٦] :

* أوضحها النبي ﷺ فيما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي بكرة[١] رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهرًا منها أربعةٌ حرم ، ثلاث متواليات ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب مُضر[٢] الذي بين جمادي وشعبان » .

* وكذا في تفسير التثبيت بالقول الثابت ، في قوله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] :

فقد فُسر التثبيت [٣] هنا بتوفيق المؤمن للنطق بالشهادتين عند سؤال الملكين له في القبر .

---

(١) البخاري (حديث ٤٦٦٢) ومسلم (حديث ١٦٧٩) .

(٢) أي : شهر رجب المعروف ، وقد كانت قبيلة مُضر تعظمه وتعتقد حرمته ولا تؤخره ولا تُقدمه .

(٣) وإن كان التثبيت بالقول الثابت يدخل فيه أيضًا أكثر من ذلك .

* أخرج البخاري (١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال : « **المسلمُ إذا سُئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾** [إبراهيم: ٢٧] » .

* **وكذلك تفسير السبع المثاني بالفاتحة :**

* وذلك فيما أخرجه (٢) البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد بن المعلي قال : قال رسول الله ﷺ : « .. **الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته** » .

* وأخرج البخاري (٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «**أُمُّ القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم**» .

* **وكذا إيضاح المراد بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾** [الإسراء: ٧٨] :

بأن ملائكة الليل والنهار يشهدونه :

* وذلك فيما أخرجه الترمذي (٤) من طريق الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ في قوله : **﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾** [الإسراء: ٧٨] قال : « **تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار** » .

---

(١) البخاري (حديث ٤٦٩٩) .

(٢) البخاري (حديث ٤٧٠٣) .

(٣) البخاري (حديث ٤٧٠٤) .

(٤) الترمذي (حديث ٣١٣٥) ، وقال هذا حديث حسن صحيح .

وهذا سند صحيح [١] .

*** وكذا الوارد عن رسول الله ﷺ في تفسير المعيشة الضنك المذكورة في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه : ١٢٤] بأنها عذاب القبر :**

* أخرج ذلك ابن أبي حاتم وكما نقله عنه الحافظ ابن كثير رحمه الله .

قلت (مصطفى) : وسنده هنالك حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « **فإن له معيشة ضنكًا** » قال : « **عذاب القبر** » [٢] .

وقد قال الحافظ ابن كثير أيضًا : إسناده جيد [٣] .

*** وكذلك فسر النبي ﷺ مستقر الشمس :** في قوله تعالى : ﴿ **وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ** ﴾ [يس : ٣٨] بأنها مستقرها تحت العرش .

أخرج البخاري ومسلم [٤] في صحيحهما من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى : ﴿ **وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا** ﴾ [يس : ٣٨] قال : « **مستقرها تحت العرش** » .

* وقد ورد هذا الحديث في الصحيحين بلفظ آخر ، فأخرج البخاري

---

(١) وقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **فضل صلاة الجمع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة وتجتمع ملائكة الليل والنهار في صلاة الصبح** » يقول أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم : ﴿ **وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا** ﴾ .

(٢) مع أن العيشة الضنك قد تكون في الدنيا والآخرة أيضًا .

(٣) وأورد له الحافظ ابن كثير طرقًا أُخر مع بيان وجوه إعلالها .

(٤) البخاري (٤٨٠٣) ومسلم في طرق حديث (١٥٩) .

ومسلم [١] من طريق إبراهيم التيمي عن أبيه ، عن أبي ذر قال : دخلت المسجد ورسول الله ﷺ جالسٌ ، فلما غابت الشمس قال : « **يا أبا ذر ! هل تدري أين تذهب هذه؟** » قال : قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : « **فإنها تذهب فتستأذن في السجود، فيؤذن لها ، وكأنها قد قيل لها :ارْجعي من حيث جئتِ، فتطلع من مغربها** » قال : ثم قرأ في قراءة عبد الله : « **وذلك مستقرٌ لها** ».

* وكذلك بيان كيفية شهادة الأركان على الإنسان يوم القيامة : وذلك في قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [فصلت : ٢٠] :

فقد فسر النبي ﷺ إذ قد أخرج مسلم [٢] في صحيحه من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال : « **هل تدرون ممَّ أضحك ؟** » قال : قلنا: الله ورسوله أعلم ، قال : « **من مخاطبة العبد ربه ، يقول : يا رب ! ألم تُجرني من الظلم ؟ قال : يقول : بلى ، قال فيقول : فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني قال : فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً ، وبالكرام الكاتبين شهودًا ، قال : فيختم على فيه ، فيقال لأركانه [٣] : انطقي ، قال : فتنطق بأعماله ، قال : ثم يُخلَّى بينه وبين الكلام ، قال : فيقول : بُعداً لَكُنَّ وسحقًا ، فعنكن كنت أناضل [٤]** » .

---

(١) البخاري (حديث ٧٤٢٤) ومسلم في طرق حديث (١٥٩) .

(٢) مسلم (حديث ٢٩٦٩) .

(٣) الأركان هى الجوارح (اليد والرجل .. ونحو ذلك).

(٤) أناضل أي : أُدافع وأجادل .

* كذلك تفسير الغيبة : في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [الحجرات : ١٢]

فقد أخرج مسلم [١] في صحيحه عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « **أتدرون ما الغيبة ؟** » قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « **ذكرك أخاك بما يكره** » قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : « **إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ، فقد بهتّه** [٢] » .

* وكذا السنة في بيان معاني بعض الكلمات كالوارد عن رسول الله ﷺ في تفسير الصور : بأنه قرنٌ ينفخ فيه :

* أخرج الترمذي [٣] بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : ما الصور ؟ قال : « **قرنٌ يُنفخ فيه** » .

* وقد فسَّر النبي ﷺ الكوثر : **بأنه نهرٌ في الجنة أعطاه الله إياه** [٤] :

ففي الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث أنس رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « .. **أتدرون ما الكوثر ؟** » فقلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : « **فإنه نهر وعدنيه ربي عزَّ وجل ، عليه خيرٌ كثيرٌ ، وهو حوضٌ تردُ**

---

(١) مسلم (حديث ٢٥٨٩) .

(٢) البهتان : الباطل .

(٣) الترمذي (حديث ٢٤٣٠) .

(٤) وإن كان من العلماء من فسَّر الكوثر بالخير الكثير ، فالنهر من الخير الكثير الذي أعطاه الله نبيه محمداً ﷺ ، وذلك كقوله ﷺ الحج عرفة ، فالوقوف بعرفات من أعمال الحج بلا شك ، بل هو أعظم أعماله ، إلا أنه لا ينفي ما عداه من الأعمال .

عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم ...» الحديث [١] .

* **وقد فسر النبي ﷺ الغاسق إذا وقب : بالقمر [٢] :**

* في حديثه لعائشة رضي الله عنها إذ قال لها وقد نظر إلى القمر فقال يا عائشة : « **استعيذى بالله من شر هذا فإن هذا هو الغاسق إذا وقب** » [٣] .

* * *

• إن هناك نصوصا من كتاب الله عز وجل قد تفهم على غير وجهها فتوضح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المراد منها •

* فالذي أُنزل عليه القرآن أعلم بتأويله من غيره بلا شك ، فعلى سبيل المثال :

* قد يُفهم قول الله عزَّ وجل : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [الانشقاق: ٧، ٨] مع قول النبي ﷺ : « **ليس أحدٌ يحاسب إلا هلك** » .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٤٠٠) .

(٢) وإن كان من أهل العلم من فسَّر الغاسق إذا وقب بالليل إذا دخل ، وهو تفسير عام يدخل فيه ما ذكره النبي ﷺ من أن الغاسق إذا وقب القمر (أي : إذا ظهر) . فإن دخول الليل يستصحب ظهور القمر ، وهذا وذاك يُتعوذ بالله مما يكون معهما في الليل من شرور وآثام .

(٣) أخرجه الترمذي (٩/ ٣٠٢) مع التحفة ، وأحمد في مسنده (٦/ ٦١، ٢٠٦، ٢٣٧) وقد حسن الحافظ ابن حجر إسناده في الفتح (٨/ ٧٤١) .

* لقد أوضح رسول الله ﷺ المراد بالحساب اليسير وبيّن أنه العرض :

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة [(١)] رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **ليس أحد يحاسب إلا هلك** » ، قالت : قلت : يا رسول الله جعلني الله فداءك أليس يقول الله عز وجل : ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا** ﴾ [الانشقاق: ٧، ٨] قال : « **ذاك العرض ، يُعرضون ، ومن نوقش الحساب هلك** » .

وللعلماء في تفسير العرض أقوال منها : أن المراد بالعرض : عرض الناس على الميزان . ومنها : أن ينظر في أعماله فيغفر له سيئها ويجازى على حسنها .

وأصحها : عرض أعمال العبد عليه بين يدي الله ثم مغفرتها له ، ودل على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم [(٢)] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول : « **يُدنى المؤمن يوم القيامة من ربِّه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول هل تعرف ؟ أي رب أعرف، قال : فإني قد سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم فيُعطى صحيفة حسناته، وأما الكفار والمنافقون فيُنادي بهم على رءوس الخلائق : الذين كذبوا على ربهم** » .

* وكمثال آخر في هذا الصدد ما فهمه صحابة رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم من قول الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢] ، ففهم بعضهم أن الظلم هنا على عمومه ومن ثمَّ

---

(١) وأخرجه البخاري (حديث ٤٩٣٩) ومسلم (حديث ٢٨٧٦) .
(٢) أخرجه البخاري (حديث ٢٤٤١) ومسلم (حديث ٢٧٦٨) .

سألوا أيُنا لم يظلم نفسه يا رسول الله ؟

* **فأوضح لهم رسول الله ﷺ أن المراد بالظلم هنا هو الشرك:**

ففي الصحيحين [١] من حديث عبد الله [٢] رضي الله عنه قال : لما نزلت : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ** ﴾ [الأنعام : ٨٢] شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا : أينا لا يظلم نفسه ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **ليس هو كما تظنون ، إنما هو كما قال لقمان لأبيه : ﴿ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾** [لقمان : ١٣] » .

* **وكذا دفعُ ما قد يردُ من اشتباه على البعض من قوله تعالى : ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ [مريم : ٢٨] وقد كان بين مريم وهارون زمنًا طويلاً .**

فقد يقول قائل : كيف ومريم بنة عمران وأخت هارون ، وموسى بن عمران وأخو هارون ، وقد كان بينهما مئات السنين فما وجه الجواب ؟

فنقول، وبالله التوفيق إن سنة رسول الله ﷺ دفعت هذا الإشكال وأزالت هذا الغموض .

ففي صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: لما قدمت نجران سألوني ، فقالوا : إنكم تقرءون : يا أخت هارون ، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا ، فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك ، فقال : « **إنهم كانوا يُسمّون بأنبيائهم والصالحين قبلهم** » [٣] .

---

(١) البخاري (حديث ٣٣٦٠) وفي غير موضع من صحيحه ، ومسلم (حديث ١٢٤) واللفظ له .

(٢) عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه .

(٣) مسلم (حديث ٢١٣٥) .

* وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [النساء : ١٠١] .

فظاهر الآية الكريمة يفيد : أن القصر فقط يكون عند خوف الفتنة من أهل الكفر .

* لكن سنة رسول الله ﷺ أوضحت أن القصر لعموم المسافرين :

أخرج مسلم [(١)] في صحيحه من طريق يعلي بن أمية قال : قلت لعمر ابن الخطاب : ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ فقد آمن الناس !.

فقال : عجبتُ مما عجبتَ منه فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال : «صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته » .

وعند البخاري [(٢)] من حديث حارثة بن وهب ، قال : صلى بنا النبي ﷺ آمن ما كان بمنى ركعتين .

* وكذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ [البقرة: ١٥٨] .

فالآية الكريمة قد يظهر منها أن من سعى بين الصفا والمروة لا إثم عليه ، وفقط ، ولكن السعى بين الصفا والمروة دائرٌ بين الركنية والوجوب كما هو معلوم .

أخرج البخاري ومسلم من طريق عروة عن عائشة قال : قلت : أرأيت

---

(١) مسلم (حديث ٦٨٦) .

(٢) البخاري (١٠٨٣) .

قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ [البقرة:١٥٨] ؛ قلت : فوالله ما على أحد جناح أن لا يتطوف بهما فقالت عائشة : بئسما قلت يا بن أختي إنها لو كانت على ما أوّلتها عليه كانت فلا جناح عليه ألا يطوّف بهما ، ولكنها إنما أنزلت أن الأنصار كانوا قبل أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل، وكان من أهلَّ لها يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة فسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ ، فقالوا يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ [البقرة:١٥٨] ، قالت عائشة : ثم قد سنَّ رسول الله ﷺ الطواف بهما فليس لأحد أن يدع الطواف بهما (١) .

* * *

• كذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تستثني من الآيات أمورا ، وتضيف إليها إضافات •

فعلى سبيل المثال :

* قول الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الأعراف:٣٢] .

بيّنت سنة رسول الله ﷺ أن هناك ملابسًا مستثناةً وحُليًّا مستثنى ، فقد قال رسول الله ﷺ في شأن الذهب والحرير : « **إن هذين حرام على ذكور**

(١) البخاري (حديث ١٦٤٣) وفي غير موضعٍ ، ومسلم (حديث ١٢٧٧) .

أمتي حلٌّ لإناثها »[١] .

وكذا الوارد في نهي المرأة على لبسة الرجل ، ونهي الرجل عن لبسة المرأة ، والنهي عن تشبه بعضهم ببعض .

* وقوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ ﴾ [المائدة : ٣] .

استثنى من الميتة ميتتان ، فهما لنا حلال ألا وهما السمك والجراد ، واستثنى من الدماء الكبد والطحال ، كما في الأثر عن ابن عمر رضي الله عنهما[٢] وكذا أُحلَّت لنا ميتة البحر ؛ لحديث النبي ﷺ : « **هو الطهور ماؤه الحل ميتته** »[٣] وذلك في شأن البحر .

* وكذلك قوله تعالى : ﴿ قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ [الأنعام : ١٤٥] .

فأضيف إلى هذه المحرمات محرماتٌ أُخر وذلك بسنة رسول الله ﷺ ، فإن النبي ﷺ حرَّم كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير[٤] .

فحرِّمت بذلك الكلاب والسباع والصقور والنمور والعقارب والحيات .

---

(١) صحيح بمجموع طرقه ، وقد أخرجه ابن ماجه (٣٥٩٥) ، والنسائي ببعض (٥١٤٤) (٨/ ١٦٠) وأحمد (١/ ١١٥) .

(٢) الطبري بإسناد صحيح موقوفًا على ابن عمر رضي الله عنه وله حكم المرفوع (أثر ١٢٧٠٠) .

(٣) صحيح ، أخرجه أبو داود (حديث ٨٣) والترمذي (حديث ٦٩) وغيرهما .

(٤) أخرجه مسلم (١٩٣٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا . وأخرج البخاري (٥٥٣٠) ومسلم (١٩٣٢) من حديث أبي ثعابة الخشني رضي الله عنه نهى النبي ﷺ عن كل ذي مخلب من السباع .

وكذا فقد نهى رسول الله ﷺ عن لحوم الحمر الإنسية [١].

* وكذا قضاء رسول الله ﷺ بالشاهد مع اليمين، إضافة إلى قوله تعالى: ﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

* ففي صحيح مسلم [٢] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قضى بيمين وشاهد.

* * *

• وكذلك فالسنة توضح ما أجمل من القصص القرآني •

* ومن ذلك إيضاح الإجمال المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ... ﴾ [ص: ٤١].

فقد أوضح ذلك رسولنا محمد ﷺ فيما أخرجه ابن حبان [٣] وأبو يعلي والطبري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **إن أيوب نبي الله لما لبث في بلائه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبًا ما أذنبه أحد من العالمين. فقال له صاحبه: وما**

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٢١٦) ومسلم (حديث ١٤٠٧).

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٧١٢).

(٣) إسناده صحيح، أخرجه ابن حبان (٢٠٩١) موارد ص ٥١١ وقال الحافظ ابن كثير في تفسير سورة الأنبياء ورفعه غريب جدًا.

ذاك؟ قال : منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به ، فلما راح إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له ، فقال أيوب : لا أدري ما تقول ، غير أن الله يعلم أني كنت أمرّ على الرجلين يتنازعان فيذكران الله وأرجع بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حق ، قال : وكان يخرج إلى حاجته ، فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده ، فلما كان ذات يوم أبطأ عليها ، فأوحى الله إلى أيوب في مكانه ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢] فاستبطأته فبلغته فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء فهو أحسن ما كان . فلما رأته قالت : أي بارك الله فيك ، هل رأيت نبي الله هذا المبتلى والله على ذلك ، ما رأيت أحدًا كان أشبه به منك إذ كان صحيحًا قال : إني أنا هو ، وكان له أندران أندر القمح وأندر الشعير ، فبعث الله سحابتين فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاضت ، وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاضت » .

* ونحوه ما ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩] .

فقد ورد في تفسير ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم (١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن موسى كان رجلا حييًّا ستيرًا لا يرى من جلده شيء استحياء منه ، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل . فقالوا : ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده إما برص وإما أدرة وإما آفة ، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى ، فخلا يومًا وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل ، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها ، وإن الحجر عدا

---

(١) البخاري (حديث ٣٤٠٤) وفي عدة مواطن ومسلم (٣٣٧) وهو عند مسلم في موطنين .

بثوبه ، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول : ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عريانًا أحسن ما خلق الله وأبرأه مما يقولون ، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربًا بعصاه . فوالله إن بالحجر لندبًا من أثر ضربه ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا فذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ » .

* وكذا في أمر الزكاة ، إذ الله قال : ﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ [الأنعام: ١٤١] .

بينت سنة رسول الله ﷺ : «أن لا صدقه فيما دون خمس أوسق» (١) .

---

(١) البخاري (حديث ١٤٠٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا (ليس فيما دون خمس أوسق صدقة ..) ومسلم (حديث ٩٧٩) .

• وأخيرا •

فهذه سنة رسول الله ﷺ مع كتاب الله عزَّ وجل فكيف يزعم شخصٌ أنه قرآنيٌ ثم يهجرُ سنة نبيه ﷺ ؟!

* إن هذه الدعوة التي يدّعيها أقوام فيزعمون أنهم قرآنيون ثم هم يهجرون سنة نبينا محمد ﷺ إنها دعوة كاذبةٌ في أصلها فالقرآني المتبع للقرآن مُلزم ـ بنص القرآن الكريم ـ باتباع هذا النبي الكريم ، كما تقدم من قوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧] .

* وكما تقدم من قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١] إلى غير ذلك من الآيات .

ثم فضلا عن أنها دعوة كاذبة فهي أيضًا ستارٌ للانسلاخ من الدين وغطاءٌ للتحلل من التكاليف الشرعية !!!

ألا ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ... ﴾ [النور: ٦٣] .

* * *

• وبين يدي الختام •

فهذا رسولنا قد تقدمت بعض مناقبه وبعض فضائله ، وبيان بعض ما له علينا من الحق ، وبيان أثر سنته في فهم القرآن وسائر الأحكام ، ثم هذا مزيدٌ بيان لحق خير الأنام عليه الصلاة والسلام ، فنقول ، وبالله التوفيق **وابتداءً** ،

* فحقٌ لله علينا أن نشكره على ما امتن علينا به من بعثة النبي ﷺ فينا وإلينا ، فلله الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه ، لله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه .

* وصلوات الله وسلامه على نبي الله إبراهيم إذ دعى لنا فاستجاب الله دعاءه ، لقد قال الخليل عليه السلام : ﴿ **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ** ﴾ [البقرة : ١٢٩] .

فجزى الله خليل الرحمن خيرًا على دعوته ، الحمد لله رب العالمين . أما حق هذا النبي ﷺ فلن نستطيع حصره والإتيان عليه فصلوات ربي وسلامه عليه ، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله ، فنقول وبالله التوفيق ،

* إن من حق هذا النبي الكريم علينا أن نؤمن به ونرضى به نبيًّا ورسولا .

* إن من حق هذا النبي علينا أن نتبعه حق الاتباع ونتأسى به حق التأسي ونقتدي بهديه حق الاقتداء ؛ امتثالا لأمر الله تبارك وتعالى إذ قد أمرنا بطاعته وحثنا على التأسي به ، كما قد تقدم .

* من حقه علينا أن ندافع عن سنته ونكون أنصارًا له ولدينه وسنته

وشريعته ، فديننا دينه وشرعنا شرعه ، رضينا بالله ربًّا بالإسلام دينًا وبمحمد رسولا .

* من حقه علينا أن نحمل عنه ما علمناه ونبلغه الناس إذ النبي ﷺ قد قال : « **بلغوا عني ولو آية** » (١) .

وقال : « **نَضَّرَ الله امرءًا سمع مقالتي فوعاها ثم أداها كما سمعها**» (٢) .

* من حق هذا الرسول علينا أن نقدم محبته على محبة أهلينا ، وأبناءنا وبناتنا ، وآبائنا وأمهاتنا ، بل على محبة أنفسنا .

أخرج البخاري من حديث عبد الله بن هشام قال : كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر : يا رسول الله لأنت أحبُّ إليَّ من كل شيء إلا من نفسي ، فقال النبي ﷺ : « **لا والذي نفسي بيده ، حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك** » فقال له عمر : فإنه الآن ، والله لأنت أحبُّ إليَّ من نفسي، فقال النبي ﷺ « **الآن يا عمر** » (٣) .

* إن آراءنا وأقوالنا إذا اختلفت مع قول رسول الله ﷺ لا يسعنا إلا أن نقدم قول الرسول على أقوالنا ورأي الرسول على آرائنا ، فاختياره لنا خيرٌ من اختيارنا لأنفسنا ، ويكفينا ما تقدم ذكره من كتاب الله عزَّ وجل إذ قال عن نبيه ﷺ : ﴿ **حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

* ولنعلم أن اختياره لنا خيرٌ من اختيارنا لأنفسنا قال تعالى : ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ** ﴾ [الحجرات : ٧] أي : لنزلت

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٦١) .

(٢) صحيح متواتر .

(٣) البخاري (حديث ٦٦٣٢) .

بكم المشقة ولحلَّ بكم العنت .

وانظر إلى ما كان من عمر رضي الله عنه يوم الحديبية ، وهو يرقب قضية الصلح بين رسول الله ﷺ والمشركين وينظر بنود الاتفاقية ويرى فيها تنازلات كثيرة من المسلمين للمشركين ، مع أن أحوال المسلمين الحربية والعسكرية آنذاك كانت أحسن بكثير من أحوال من قبل مع ناحية العَدد والعُدد .

* إن عمر ينظر إلى تعنت سهيل بن عمرو وهو يقول : لا تكتب باسم الله الرحمن الرحيم ، ولكن اكتب باسمك اللهم !! ينظر عُمرُ إليه كذلك وهو يقول : لا تكتب محمد رسول الله ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فلا نقر لك بالرسالة !! ينظر إلى الاتفاقية وفيها لا يأت أحدٌ من المشركين مُسلمًا إلى رسول الله ﷺ إلا ويرده النبي ﷺ للمشركين وإذا أتى أحدٌ من المسلمين إلى المشركين مرتدًّا فلا يرجعوه إلى المسلمين ، فيرى عمر من وجهة نظره أن هذه التنازلات لا ينبغي أن تكون ، ويراجع النبيَّ ﷺ في ذلك ، ويراجع أبا بكر في ذلك، ولكن كان رأي رسول الله الأسَدُّ والأرشدُ والأقوم والأصح!!

فكم من شخصٍ قد أسلم بعد هذا الصلح ، لقد أسلم آلاف من المشركين ودخلوا في دين الله أفواجًا .

ومن هؤلاء الذين أسلموا وحسن إسلامهم جدًّا: سهيلُ بن عمرو نفسه، وقد أبلى بلاءً حسنًا في الإسلام بعد ذلك !!

لقد حُقنت دِماءُ ، وأُنقذ أقوام من النار ، كانوا سيدخلونها إذا ماتوا على الشرك .

وهذا شيء عن هذا الصلح وما كان فيه ،

أخرج البخاري [١] من حديث المسور بن مخرمة ومروان قصة صلح الحديبية وفيه : فجاء سهيل بن عمرو فقال : هات اكتب بيننا وبينكم كتابًا ، فدعا النبي ﷺ الكاتب ، فقال النبي ﷺ : « **بسم الله الرحمن الرحيم** » ، فقال سهيل : أما « **الرحمن** » فوالله ما أدري ما هِي ؟ ولكن اكتب « باسمك اللهم ، كما كنت تكتب » فقال المسلمون : والله لانكتبها إلا « بسم الله الرحمن الرحيم » فقال النبي ﷺ : اكتب « **باسمك اللهم** » . ثم قال : «**هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله** » فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب « محمد بن عبد الله » ، فقال النبي ﷺ : « **والله إني لرسول الله وإن كذبتموني ، أكتب «محمد بن عبد الله** » قال الزهري : وذلك لقوله : « **لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها** » فقال له النبي ﷺ : « **على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به** » . فقال سهيل : والله لا تتحدث العرب أنّا أُخذنا ضُغطة ، ولكن ذلك من العام المقبل ، فكتب ، فقال سهيل : وعلى أنه لا يأتيك منا رجل ـ وإن كان على دينك ـ إلا رددته إلينا . قال المسلمون : سبحان الله ، كيف يُردّ إلى المشركين وقد جاء مُسلمًا ؟ فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده ،وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فقال سهيل : هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إليَّ . فقال النبي ﷺ : « **إنَّا لم نقض الكتاب بعد** » . قال: فوالله إذا لم أُصالحك على شيءٍ أبدًا. قال النبيُّ ﷺ :

---

(١) البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢) .

« **فأجزه لي** » ، قال : ما أنا بمجيزه لك ، قال : « **بلى فافعل** »، قال : ما أنا بفاعل . قال مكرز : بل قد أجزناه لك . قال أبو جندل : أي معشر المسلمين ، أُردُّ إلى المشركين وقد جئت مسلمًا ؟ ألا ترون ما قد لقيت ؟ وكان قد عُذِّب عذابًا شديدًا في الله . قال فقال عمر بن الخطاب : فأتيت نبي الله ﷺ فقلت : ألست نبي الله حقًّا ؟ قال : « **بلى** » . قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : « **بلى** » . قلت : فَلِمَ نُعطى الدَّنيَّة في دِيننا إذًا ؟ قال : « **إني رسول الله ولست أعصيه ، وهو ناصري** » . قلت: أوليس كنت تُحدِّثُنا أنَّا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال : « **بلى ، فأخبرتك أنا نأتيه العام ؟** » قال : قلت: لا . قال : فإنك آتيه ومطوِّف به . قال : فأتيت أبا بكر فقلت : يا أبا بكر ، أليس هذا نبي الله حقًّا ؟ قال : بلى . قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى . قلت : فَلِمَ نُعطى الدنية في ديننا إذًا ؟ قال : أيها الرجل ، إنه لرسول الله ﷺ ، وليس يعصي ربه ، وهو ناصره ، فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق . قلت : أليس كان يحدثنا أنَّا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : بلى ، أفأخبرك أنك تأتيه العام ؟ قلت : لا . قال: فإنك آتيه ومُطوِّف به . قال الزهري : قال عمر : فعملت لذلك أعمالا .

* **ومن حق هذا النبي الكريم علينا أن نمتثل أمره بعدم الغلو فيه:** إذ قد قال عليه الصلاة والسلام : « **لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبده فقولوا : عبد الله ورسوله** »(١)

فهو صلوات الله وسلامه عليه بشرٌ كسائر البشر كما قال الله تعالى :

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٤٥) .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [فصلت: ٦]

وكما قال عليه الصلاة والسلام : « **إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر ..** » ، وقال أيضًا : « **وأنسى كما ينسى البشر ...** » .

فلا يجوز لنا أن ننزله منزلة الرب سبحانه وتعالى ، فنبينا محمد ﷺ عبدٌ لله مطيعٌ له ، ثم إنه رسول الله نبي عليه الصلاة والسلام .

قال تعالى : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ [النجم: ١٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ [البقرة: ٢٣] .

فرسولنا عبد لله كسائر عبيد الله إذ الله قال : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ [مريم: ٩٣] .

* إننا كمسلمين ولله الحمد ، يختلف موقفنا من نبينا ﷺ عن موقف الكفار منه .

* إننا نقرّ لهذا الرسول ﷺ بالرسالة ونفتخر بذلك ونسأل الله الثبات على ذلك .

ومن ثمَّ فنحن نعتقد صحة كل ما فعله نبينا ﷺ فكلُّ ما فعله صحيح ونتهم آراءنا ، وندفع في وجه خصومنا بكل قوة .

فجوابنا الأصيل على كل ما يثار حول هذا الرسول الكريم من شبهات يطرحها أهل الباطل ، أن تقول : إنه رسول الله ولن يعصي ربَّه عزَّ وجل ، كما قد قال الصديق أبو بكر لعمر رضي الله عنه .

فهذا جوابنا الأصيل ، وإن كانت ثمَّ أجوبة أُخرى تُلتمس !!

فرضينا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولا .

* ومن حقه علينا صلوات الله وسلامه عليه أن نوقره عند ذكره ، فلا نذكره باسمه المجرد بل نذكره بكل جميل ، نذكره بقولنا: رسول الله ﷺ ، نذكره بـ نبي الله ﷺ ، نذكره بـ سيد ولد آدم ، نذكره بـ خاتم النبين ﷺ ... إلى غير ذلك من جميل الألفاظ ، إذ الله قال : ﴿ **لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا** ﴾ [النور: ٦٣] .

* من حق هذا النبي الكريم علينا أن نكثر من الصلاة والسلام عليه امتثالا لأمر الله عزَّ وجل : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٥٦] . ويتأكد حقه في الصلاة عليه عند ذكره صلوات الله وسلامه عليه .

* من حقه علينا أن نسأل الله له الوسيلة والفضيلة .

* من حقه علينا أن نذب عنه وندافع عن سنته فحقه علينا أعظم من حق والدينا ، ومن تمام الإيمان أن نقدم محبتنا له على محبتنا لأنفسنا .

* **من حقه علينا أن نقدم قوله على قول غيره من البشر** ؛ فلا يُقدم قول ، ولا فعل ، ولا رأي صاحب مذهب ولا شيخ ولا عالم ، ولا رئيس ولا ملك ولا وزير على قول رسول الله ﷺ

* **ثم إن من حقه علينا أن نخلفه في أهل بيته بخير** ، إذ قد أوصى فقال: «**أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي**» (١) .

(١) مسلم (حديث ٢٤٠٨) .

* إن حقه علينا لا يأتى عليه الحصر ، فنسأل الله أن يتجاوز عن تقصيرنا في توقير هذا النبي الكريم ، وعن تقصيرنا في نصرة سنته ، وعن تقصيرنا في الصلاة عليه وعن تقصيرنا في عموم حقوقه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آل بيته وعلى صحبه ومن سلك طريقته واتبع سنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين .

* * *

• وبين يدي الختام أيضا نقدم شكرا •

شكرًا لخالقنا سبحانه وتعالى ومولانا وربنا وملكنا وإلهنا على هدايته لنا للإسلام والإيمان ، فالحمد لله رب العالمين حمداً وشكراً لله على عظيم نعمه وآلائه التي لا تنفد ولا تحصى ولا تعد ، الحمد لله حمداً كثيراً طيبًا مباركًا فيه .

لك الحمد يا ربنا أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت الحق وقولك حق ولقاؤك حق ، والجنة حق والنار حق والنبيون حق ، ومحمد ﷺ حق ، والساعة حق ، اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا وما أنت أعلم به منا أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت لا إله غيرك .

الحمد لله الحمد لله الحمد لله

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه .

صدقت يا ربنا إذ قلت في شأن الإنسان : ﴿ **كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ** ﴾ [عبس : ٢٣] فحقًا ياربنا لن نقضى ما أمرتنا به ولا قوة لنا إلا بك فمهما قدمنا ومهما عملنا فلن نستطيع الوفاء بعهودنا معك ، فعفوك أوسع ، ورحمتك وسعت كل شيء ، أنت أهلٌ ؛ لأن تُتقى وتُحذر ، كما قلت عن نفسك : ﴿ **هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ** ﴾ [المدثر : ٥٦]

* وأهلٌ لأن تغفر كما قلت عن نفسك : ﴿ **وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ** ﴾ [المدثر : ٥٦]

فاغفر لنا يا ربنا تقصيرنا في شكرك وتقصيرنا في ذكرنا وتقصيرنا في عبادتك .

❊ وأعنا اللهم ربنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

❊ ثم صلِّ يا ربنا وسلم تسليمًا كثيرًا على من أرسلته رحمة للعالمين ، صل ياربنا وسلم على نبينا محمد الذي مننت به علينا وتفضلت وأخرجتنا به من الظلمات إلى النور ، وبصّرتنا به من العمى وأنقذتنا به من الضلالة ، وجازه عنا خير الجزاء ، وأوفر الجزاء ، وآته سؤله يا ربنا .

❊ ويا ربنا اجزِ حملة سنته خير الجزاء والداعين إليها والذابين عنها والمنافحين والمتفقهين فيها والعاملين بها من الصحبْ الكريم ممن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

❊ اجز يا ربنا علماءنا وأئمتنا خير الجزاء .

❊ نسألك يا ربنا أن تجازي علماءنا وأئمتنا المتقدمين منهم والمتأخرين خير الجزاء .

❊ ثم أسألك يا رب أن تجازي شيخنا العالم الفاضل مقبل بن هادي الوادعي خير الجزاء وأن ترحمه برحمتك الواسعة وتنور له في قبره وتفسح له فيه وتجازيه خيرًا على حمله لواء السنة المباركة بأرض اليمن والذب عنها والدفاع ، وبثها ونشرها وتنقيحها .

❊ كما أسألك يا رب أن تجازي الإمام العالم الفاضل الشيخ ناصر الدين الألباني خير الجزاء على حسن دفاعه عن سنة نبيك محمد ﷺ وعن المنافحة عنها وتنقيتها من الشوائب .

❊ فاللهم جازهما خير الجزاء وسائر حملة السنة والمدافعين عنها والمتفقهين فيها .

* اللهم ادخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

* ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم .

* * *

• وختاما •

ونسأل الله أن لا يجعله آخر العهد بهذا النبي الكريم وبذكره والتذكير بفضله وشرفه ومناقبه .

ختامًا ، نسأل الله أن يحشرنا مع هذا النبي الكريم ومع المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا .

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ،

وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

كتبه

أبو عبد الله / مصطفى بن العدوي

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

تقديم ٥

ولقد اصطفى الله سبحانه وتعالى هذا النبي الكريم ، وفضله على سائر الأنبياء والمرسلين ٩

إنه صلوات الله وسلامه عليه سيد ولد آدم ١٠

به ختم النبيون ١٠

إنه صاحب الشفاعة العظمى ١١

إنه أول من يدخل الجنة وأول من تفتح له ١١

إنه شاهدٌ ومبشرٌ ونذيرٌ ١٢

إن الوسيلة منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد الله يرجوها رسولنا محمد ﷺ لنفسه ١٣

لقد شرح الله له صدره ، ووضع عنه وزره ، ورفع الله له ذكره ١٣

وقد شرح صدر رسول الله ﷺ مرتين ١٤

أما قوله تعالى : ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ ١٥

أما رفع ذكر النبي ﷺ فذلك منه وجوه : ١٥

لقد وجده الله يتيمًا فآواه وضالاً فهداه وعائلاً فأغناه ١٧

لقد أعطاه الله الكوثر ومنَّ عليه بالحوض المورود ١٨

إن هذا النبي الكريم أمنة لأصحابه ٢١

إن هذا النبي دعوة إبراهيم عليه السلام وبشارة عيسى عليه السلام ٢١

الموضوع الصفحة

لقد نفى الله عنه كل سيئ وقبيح ، وأثبت له كل جميل وكريم ٢٣
إنه منةٌ وتفضل من أعظم منن الله علينا ٢٥
لقد أُرسل هذا الرسول الكريم رحمة للعالمين ٢٥
إنه بأمته رؤوف رحيم ٢٦
ولقد أثنى الله سبحانه وتعالى على هذا النبي خير ثناء ، ودافع عنه خير دفاع ٢٦
ولقد أكرم الله نبيه ﷺ إكرامًا حسنًا وأنزله منزلة حسنة ٢٧
ولقد طمأن الله نبيه ﷺ وأراح له باله ٣٥
إنه شهيد على أمته يوم القيامة وأمته شهداء على سائر الأمم ٣٦
لقد أذهب الله الرجس عن أهل بيته وطهرهم تطهيرًا ٣٦
ولقد أنزل الله على هذا النبي الكريم خير كتاب ، وأمره بالبلاغ ٣٨
وهذا مثله مع الأنبياء من قبله ﷺ ٣٩
وهذا مثل رسول الله ﷺ من أطاعه أو عصاه ٤١
ومن شأن أهل الإيمان إذا دعوا إلى الله ورسوله أن يقولوا سمعنا وأطعنا ٤٣
وطاعته سبب الهداية والفلاح ٤٤
وفي طاعته حياة القلوب ٤٤
وطاعته سبب للرحمة ٤٤
وطاعته سبب لدخول الجنة ٤٤

الموضوع الصفحة

إن طاعته سبب الفوز العظيم ٤٥
التحذير من عصيان هذا النبي الكريم ومخالفة أمره ٤٥
إن الذلَّة والصغار يلازمان من خالف أمر رسول الله ﷺ ٤٦
إن عصيان هذا النبي الكريم ومخالفة أمره مُؤذنٌ بالعذاب الأليم ٤٦
وعصيانه سبب الضلال المبين ٤٧
وعصيانه سبب دخول الجحيم عياذاً بالله منها ٤٧
ولقد نفى الله الإيمان عن من لم يحكموا رسول الله ﷺ فيما شجر
بينهم ، وأقسم بنفسه على ذلك ٤٧
لقد توعد الله سبحانه وتعالى من عاند نبيه ﷺ بأليم العقاب ٤٧
إن قول رسول الله ﷺ وحي يوحى ٤٨
ولقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالتأسي بهذا النبي الكريم ٤٩
ولقد حث رسول الله ﷺ على اتباع سنته وبين أنها من أعظم
المخارج من الفتن وحذر عليه السلام من محدثات الأمور ٥٠
السنة والقرآن ٥١
إن سنة رسول الله ﷺ توضح ما أجمل في كل الأبواب ٥٢
وها هي آيات فسرها رسول الله ﷺ ٥٧
إن هناك نصوصًا من كتاب الله عز وجل قد تفهم على وغير وجهها
فتوضح سنة رسول الله ﷺ المراد منها ٦٦

الموضوع	الصفحة

كذلك سنة رسول الله ﷺ تستثني من الآيات أمورًا ، وتضيف إليها

إضافات ٧٠

وكذلك السنة توضح ما أجمل من القصص القرآنى ٧٢

وأخيرًا ٧٥

وبين يدي الختام ٧٧

وبين يدي الختام أيضًا نقدم شكرًا ٨٥

وختامًا ٨٩

الفهرس ٩٣